من مصادر التاريخ الإسلامي الأفريقي

المختار من تاريخ الفتاش

في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس



سيرة الحاج اسكيا محمد
وتاريخ امبراطورية صنغي الإسلامية
(٧٧٧ - ١٠٠٠ هـ - ١٣٧٥ - ١٥٩١ م)

تأليف
محمود كعت التنبكتي

تقديم ودراسة وتعليق
عبد النعيم ضيفي عثمان
ماجستير التاريخ الإسلامي
جامعة القاهرة

دار العلوم للنشر والتوزيع

من مصادر التاريخ الإسلامي الإفريقي

المختار من تاريخ الفتاش

في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس

سيرة الحاج اسكيا محمد

وتاريخ إمبراطورية صنغى الإسلامية

(٧٧٧-١٠٠٠هـ/١٣٧٥-١٥٩١م)

تأليف

محمود كعت التنبكتي

تقديم

ودراسة وتعليق

عبد النعيم ضيفي عثمان

ماجستير التاريخ الإسلامي

جامعة القاهرة

المختار من تاريخ الفتاش

تاليف

محمود كعت التنبكتي

تقديم ودراسة وتعليق

عبد النعيم ضيفي عثمان

تصميم الغلاف :

سامر محمود

التنسيق الداخلى :

رفعت حسن سيد سالم

الناشر:

دار العلوم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع :

2005/2866

الترقيم الدولى:

977-380-039-3

الطبعة :

الأولى - يناير 2005

سنة الطبع :

1426 هـ / 2005 م

العنوان:

43ب شارع رمسيس ـ أمام جمعية الشبان المسلمين ـ الدور السادس ـ شقة 71 ـ معروف .

المراسلات:

ص ب: 202 محمد فريد 11518 القاهرة

هاتف :5761400(202) فاكس:5799907(202)

إدارة المبيعات:

0101636192 ـ 0127221936

البريد الإلكترونى :

Info@daralaloom.com
daralaloom@hotmail.com

WWW.daralaloom.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد الله الذي علم وفهم. وعلم الإنسان ما لم يكن يعلم وأسبغ على عباده نعمًا ظاهرة وباطنة. وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

يعتبر التاريخ الإسلامي الإفريقي جزءًا لا يتجزأ من تاريخ العالم الإسلامي وخصوصًا في أوج إذدهاره ومجده. ولكن للأسف قد تعرض هذا التاريخ للإهمال والنسيان نتيجة لعدة عوامل منها سياسة الاستعمار الأوربي الذي قطع أواصر الصلة بين ماضي القارة وحاضرها حتى يسهل عليه افتراسها ومسخ شخصيتها. لذلك عانى هذا التاريخ الإهمال الشديد. كما أن انشغال العالم الإسلامي بقضاياه الإقليمية، جعل التاريخ الإسلامي الإفريقي في دائرة النسيان على الرغم من أهمية كثراث إنساني أولاً وإسلامي ثانيًا. بالإضافة لتوجه الجهود تجاه التاريخ الإسلامي المشرق.

ولكن على الرغم من الغبن والظلم الذي تعرض له التاريخ الإفريقي وجدت قلة من الباحثين تهتم بالتاريخ الإسلامي الإفريقي. وقد استطاعوا إبراز أوجه الإنجازات الحضارات الأفريقية، وأماطوا اللثام عن كثير من هذا التاريخ. ومع ذلك يظل التاريخ الإسلامي الإفريقي بحاجة إلى بذل كثير من الجهود لإظهاره في صورته الحقيقية.

وكان من أسباب اختيار كتاب الفتاشي لمحمود كعت، هو أن مؤلفه قد عاصر الأحداث التي يؤرخ لها. وبذلك يكون الكتاب وثيقة لتلك الفترة ألا وهى إذدهار دولة صنفي.

وقد واجهتني صعوبات أثناء دراستي للكتاب يمكن إجمالها في ما يعانيه كثير من اللذين يتصدون لتحقيق ودراسة التراث الإسلامي وهو عدم وجود عناوين لموضوعات الكتاب بالإضافة لخلط التاريخ بالأساطير وخلط الحقائق بالخيال. ولا يقلل هذا من قيمة الكتاب. حيث أن الكاتب بنتمى لمدرسة التاريخ الإسلامي الذي يغلب الطابع الديني على الكتابات التاريخية.

أما عن المنهج الذي أتبعته في إخراج هذا الكتاب. فهو وضع دراسة عن الإسلام في إفريقيا؛ مع دراسة أهم الدول التي ظهرت في القارة وكيفية إسهامها الحضاري.

أما بالنسبة للكتاب فقد قمت بوضع عناوين للموضوعات ما بين حاصرتين. مع تحويل الخط المغربي الذي كتب به الكتاب إلى الخط المشرقي ليكون ميسرًا ومعينًا على قراءته. كما ذود الكتاب بخرائط وفهارس تسهل الوصول لمحتوياته.

أما الفترة التي اخترتها من الكتاب فهي فترة حكم الاسكيا محمد وسبب اختياري لهذه الفترة. هي أنها فترة شهدت عصر إذدهار دولة صنغي. وهي الفترة التي صبغت البلاد فيها بالصبغة الإسلامية. ولذلك يعتبر الكتاب مختارات من تاريخ الفتاش.

وفي النهاية لا سيعني إلا أن أقدم جهدي المتواضع للقارئ الكريم آملاً في أن أسهم ولو بجزء صغير في إلقاء الضوء على تاريخ القارة السمراء ومحاولاً إبراز وجهها المضيء وإسهاماتها الحضارية، وأتمنى من الجميع إبداء رأيهم في هذا العمل. كما أود أن أتقدم بالتحية والتقدير للعلماء الأفاضل عميد معهد البحوث والدراسات الأفريقية وأساتذة قسم التاريخ بالمعهد.نظرًا لما قدموه ويقدمونه للتاريخ الأفريقي. كما أود أن أتقدم بالتحية والتقدير لأسرة دار العلوم للنشر والتوزيع لتبنيهم هذا العمل وإخراجه في ثوبه اللائق.

وإن كنت قد أصبت فتوفيقي من الله سبحانه وتعالى، وإن كنت قد أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان ولا أبرأ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء.

وعلى الله قصد السبيل

ثانيًا: المراجع:

من المراجع الحديثة التي اعتمدت عليها الدراسة الموسوعة الإفريقية الجزء الثاني التي تختص بالتاريخ الإفريقي، وهي تتحدث عن مراحل التاريخ الإفريقي في العصر القديم والوسيط والحديث والمعاصر، وقد استفادت منها الدراسة في الحديث عن طرق نشر الإسلام في إفريقيا.

ومن المراجع الهامة أيضًا كتاب مادهو بانيكار، الإسلام والوثنية ترجمة أحمد فؤاد بلبع، من اصدار المجلس الأعلى للثقافة بمصر.

والكتاب يعتبر مرجعًا هامًا في تاريخ الإمبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقيا، وقد استفادت منه الدراسة في أجزاء كثيرة سواء عند التثبت من أسماء أماكن أو قبائل. كما استفادت الدراسة من الكتاب في الجزء الذي خصصه المترجم للتحدث عن محمود كعت وكتابة تاريخ الفتاش، وهو الجزء الذي كتبه المترجم أحمد فؤاد بلبع.

ومن المراجع أيضًا كتاب حسن أحمد محمود، المعنون باسم الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، نشر دار الفكر العربي.

وقد استفادت الدراسة منه عند الحديث عن تحديد السودان كما يعتبر الكتاب بمثابة مرجع مهم للثقافة العربية والإسلامية في إفريقيا.

بلاد السودان الغربي

بلاد السودان الغربي، هو مصطلح عربي يدل على منطقة تمتد من بحيرة تشاد شرقًا، حتى ساحل المحيط الأطلنطي غربًا، ومن الصحراء الكبرى الإفريقية شمالاً حتى نطاق الغابات الاستوائية جنوبًا[(١)].

وكلمة سودان هي الكلمة التي كانت تطلق على كل إفريقيا وهي كلمة تدل على شدة سواد أهالي تلك البلاد. أما كلمة إفريقية فلم تكن تطلق سوى على تونس فقط.

أما عن كيفية وصول الإسلام إلى بلاد السودان، فيعود به بعض المؤرخون إلى الفترة التي تزامنت مع الفتح العربي لمنطقة شمال إفريقيا[(٢)]، ولكن الروايات الصحيحة تعود بنشر الإسلام للجهود التي قامت به قبائل الطوارق الملثمين[(٣)].

وقد لعبت قبائل الطوارق دورًا كبيرًا في نشر الإسلام، وموطن هذه القبائل كان يمتد من واحة غدامس جنوب طرابلس حتى ساحل المحيط الأطلنطي غربًا ويمتد جنوبًا حتى مصب نهر السنغال. وهذا الموقع الممتد جعل هذه القبائل تتحكم في طرق التجارة بين الشمال والجنوب، وقد جنت من وراء ذلك مالاً كثيرًا[(٤)].

---

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦م، ص ١٩٩.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠٧.

(٣) المرجع السابق، ص٢٠٢.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

وقد نجحت قبائل الطوارق في إسقاط مملكة غانا ونشر الإسلام في هذه الأصقاع. ونتج عن هذا العمل إسلام ملوك غانة الذين أصبحوا بدورهم دعاه للدين الإسلامي[1].

أما عن أشهر الطرق التجارية التي عن طريقها إنتشر الإسلام فهي:

١ــ طريق كان يمتد من مصر عبر برقة إلى بلاد المغرب ومنها إلى مصب نهر السنغال.

٢ـ طريق صحراوي من مصر عبر درب الأربعين حتى غرب أفريقيا.

٣ــ طرق القوافل التي تمتد من بلاد المغرب الأقصى إلى بلاد السودان وهى طريق جنوب تونس حتى بلاد البرنو غرب بحيرة تشاد، والطريق الآخر من جنوب بلاد الجزائر الحالية لشمال نيجيريا، ومن جنوب المغرب حتى مصب نهر السنغال[2].

(١) حسن أحمد محمود: مرجع سبق ذكره، ص٢١١.

(٢) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٥٧م، ص١٤: ١٣.

وسائل انتشار الإسلام في السودان الغربي

تميز انتشار الإسلام في منطقة السودان الغربي انتشارًا سلميًا عبر عدة وسائل وهي الدعاة والتجار ورحلات الحج والطرق الصوفية وسنعرض في إيجاز لدور كل من هذه الوسائل في نشر الإسلام.

١ـ الدعاة:

المقصود بالدعاة هم الأفراد المسلمون العاديين من الوعاظ والعلماء والحفاظ. وكان لهؤلاء الجماعة قدر كبير من الاحترام في كافة ربوع القارة. وكانت تطلق عليهم ألقاب التكريم مثل الألفا ـ المرابط ـ الفقيه ـ الشيخ. وقد أنقسم هؤلاء الدعاة إلى دعاة وافدون من بلاد المغرب ومصر، ودعاة محلين من أهالي البلاد، الذين كانوا يعتنقون الإسلام ويصبحون دعاة بدورهم. ومثال ذلك ما قام به ملوك مالي وصنقي في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية[١].

وكان للدعاة عدة أساليب في نشر الدعوة الإسلامية حيث كانوا يقيمون الكتاتيب في القرى لتعليم الأطفال الوثنيين القرآن الكريم واللغة العربية وبعد أن يكبر هؤلاء الأطفال يتولون هم نشر الإسلام.

(١) رجب محمد عبد الحليم: عوامل انتشار الإسلام في إفريقيا، الموسوعة الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م، ج٢، ص١٧.

ومن وسائل الدعاة أيضًا إنشاء المدارس والمساجد والزوايا والربط والخلاوي لتعليم الناس مبادئ الدين والدعوة[1].

ومن أشهر هؤلاء الدعاة ما قام به عبد الله بن يس الجزولي[2] المتوفى الذي استطاع تأسيس دولة المرابطين، وأيضًا الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[3].

٢ـ التجار:

ارتبطت الدعوة الإسلامية بالتجار ارتباطًا كبيرًا، حيث لعب التجار دورًا كبيرًا في نشر الدين الإسلامي.

وكان معظم هؤلاء التجار من العرب والبربر، كانت لهم أساليبهم في نشر الإسلام، وهي أساليب عملية. حيث كانت نظافة وأمانة هؤلاء التجار عامل من عوامل إقبال الأفارقة على الإسلام. والدليل على ذلك هو انتشار الإسلام، في المدن التي يتواجد فيها هؤلاء التجار. وكان التجار بعد استقرارهم في المدن الإفريقية يقومون بإنشاء المدارس والمساجد[4].

---

(١) رجب محمد عبد الحليم: الموسوعة الإفريقية، ص١٨.

(٢) عبد الله بن يس: من قبيلة جزولة، عالم ديني وفقيه، تتلمذ على يده الكثير من رؤساء القبائل، أسس رباط عند مصب نهر السنغال لنشر الإسلام وتعليم أتباعه القيم الدينية، يعتبر الزعيم الروحي لدولة المرابطين. انظر السيد عبد العزيز سالم، المغرب الإسلامي، دار الشعب، القاهرة، بدون، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٣) محمد عبد الكريم المغيلي: فقيه مغربي، ينسب لقبيلة مغيله فى تلمسان، توفى عام ١٥٠٣م. انظر مادهو بابتكار: الإسلام والوثنية، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٨م. هامش ٥٨، ص١٣٦.

(٤) رجب محمد عبد الحليم: الموسوعة الإفريقية، ج٢، ص٨٠.

ومن وسائل التجار أيضًا في نشر الإسلام، قيامهم بتعليم الصبية الأفارقة القراءة والكتابة في الحوانيت ليلاً على ضوء النيران[1].

ومن وسائلهم أيضًا في نشر الإسلام، هو اختلاطهم بالطبقات الحاكمة، ومصاهرتها ومشاركتهم التجارة[2].

٣ـ رحلات الحج:

لعبت رحلات الحج دورًا كبيرًا في نشر الإسلام في إفريقيا. مما كانت تمثله هذه الرحلات من احتكاك دائم بين المسلمين بعضهم البعض. كما أن طول الرحلة. جعل هناك فرصة كبيرة لنقل المؤثرات الثقافية الإسلامية لبلدان غرب إفريقيا.

وكانت رحلات الحج من غرب إفريقيا تسير عبر الطرق التجارية المعروفة وأحيانًا يكون على رأس هذه الرحلات ملوك هذه الدول[3].

وبعد العودة من الحج كان هؤلاء الملوك يحملون معهم الكتب ويحضرون معهم العلماء لتعليم أبناء القارة الدين الإسلامي. ومن أشهر رحلات الحج المشهورة رحلة حج السلطان منسا موسى[4].

---

(١) المرجع السابق، ص٨١.
(٢) المرجع السابق، ص٨١.
(٣) المرجع السابق، ص٨٢.
(٤) المرجع السابق، ص٨٣.

٤ـ الطرق الصوفية:

من الوسائل التي انتشر بها الإسلام فى منطقة غرب إفريقيا الطرق الصوفية. التي لعبت دورًا في نشر الإسلام والدعوة لوحدة المسلمين.

ومن أشهر هذه الطرق التي قامت بنشر الإسلام الطريقة القادرية[١] التي بدأت دعوتها من واحة توات بالصحراء الكبرى، والطريقة التيجانية[٢] التي نشرت الإسلام عبر رجال القوافل والتجارة.

وكانت هذه الطرق تتبع وسائل عديدة لنشر الإسلام، من هذه الوسائل تأسيس المراكز العلمية والمدارس. بالإضافة لإرسال الطلاب النابغون لاستكمال دراستهم في مصر وتونس والمغرب. وشهدت مدارس مثل القيروان والزيتونة وفاس والأزهر الشريف قدوم هؤلاء الطلاب للتعلم فيها.

(١) الطريقة القادرية: تنسب هذه الطريقة للشيخ محمد محيي الدين عبد القادر ابن أبي صالح المولود في جيلان (٧٤٠هـ ـ ١٠٧٧م). وهو عالم على المذهب الحنبلي، وقد عرفت الطريقة في أفريقيا على يد الشيخ أبي مدين الغوثي. انظر: عبد الله عبد الرازق إبراهيم: **أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٣٥: ٣٧٧.

(٢) الطريقة التيجانية: مؤسس هذه الطريقة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد ابن المختار التيجاني، ولد في قرية عين ماضي بالجزائر، وتعلم التصوف، وسافر لفاس. انظر المرجع السابق، ص٦١.

الدول الإسلامية في غرب إفريقيا

شهدت منطقة غرب إفريقيا ظهور العديد من الدول الإسلامية لعبت دورًا رئيسيًا في تغيير طبيعة الحياة في إفريقيا. واتخذت هذه الدول الطابع الإسلامي في نظمها السياسية والاجتماعية. ونستعرض في عجالة سريعة أهم هذه الدول:

١- سلطنة مالي الإسلامية (٥٩٦-٨٧٤هـ/١٢٠٠-١٤٦٩م):

مؤسس هذه السلطنة شعب زنجي سمى الماتدنجو، ويطلق عليهم الفولاني اسم مالي، وقبائل البربر كانت تطلق عليهم اسم مل أو مليت وأطلق عليهم المؤرخون العرب لقب مليل[١].

وكان موقع هذه السلطنة بين بلاد البرنو شرقًا والمحيط الأطلنطي غربًا وجبال البرنو شمالاً[٢]. وفي الجنوب جبال فوتا جالون. وكانت هذه المملكة تشمل خمسة أقاليم وهى إقليم مالي في الوسط وعاصمته بنبى وإقليم صوصو جنوب شرق مالي، وإقليم غانا شمال مالي ويمتد للمحيط الأطلنطي، وإقليم كوكو شرق مالي، وإقليم التكرور في غرب مالي حول نهر السنغال[٣].

ومن أشهر ملوك هذه الدولة (سندياتا) وكان يلقب بمارى جاطة، وامتدت فترة حكمه من (٦٢٨- ٦٥٣هـ/١٢٣٠- ١٢٥٥م). وقد توسعت الدولة في عهده واستولى على غانا وبلغت مدة حكمه خمسا وعشرين سنة وبعد وفاته في عام (٦٥٣هـ - ١٢٥٥م) تولى ابنه "منساولي" (٦٥٣- ٦٦٩هـ/١٢٥٥- ١٢٧٠م).

(١) البكري: المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون، ص١٧٨.
(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، وزارة الثقافة، مصر، بدون، ج٥، ص٢٨٢.
(٣) المصدر السابق، ج٥، ص٢٨٣، ٢٨٦.

وقد قام هذا السلطان برحلة إلى الحج في عهد السلطان بيبرس حاكم مصر المملوكي. ومن أشهر الحكام الملك منسا موسى (٧٠٧- ٧٣٣هـ/١٣٠٧- ١٣٣٢م) صاحب رحلة الحج المشهورة[(١)]. وقد اتسعت البلاد في عهده إذا استطاع ضم جاو وتنبكت. ووصلت الدولة في عهده من التكرور غربًا حتى دندي شرقًا ومن ولاته شمالاً إلى مرتفعات فوتا جالوت جنوبًا. وظلت هذه المملكة قائمة حتى توسعت على حسابها مملكة صنغي[(٢)].

وكان من أسباب انهيار هذه الدولة، انصراف الحكام لحياة اللهو والترف وفقدان الروح العسكرية، بالإضافة لتعرضها لغارات الولوف والكانم، وقد استطاع سنى على اسقاط مملكة مالي في عام (٨٧٣هـ - ١٤٦٩م) بعد سقوط تنبكت[(٣)].

وقد كان لهذه الدولة علاقات مع مصر، فقد كانت مصر معروفة لبلاد مالي، يأتي إليها التجار من هذه البلاد، ويذهب المصريون إلى هناك، وقد شاهد ابن بطوطة[(٤)] مصريين هناك، بالإضافة لقيام علاقات سياسية مثل استقبال الملك منسا موسى أثناء قيامه برحلة الحج، بالإضافة لاستقبال الطلاب الوافدين لتلقي العلم في الأزهر الشريف، وتخصيص رواق لهم هو رواق التكارنة.

٢- مملكة صنغي (٧٧٧- ١٠٠٠هـ/١٣٧٥- ١٥٩١م):

تأسست هذه الدولة في إقليم جاو، وأول ملك أعلن إسلامه هو الملك زاكسى والذي عرف باسم (مسلم دام) ومعناه المسلم عن إقتناع[(٥)].

(١) المقريزي: الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك، مكتبة الخانجي، سنة ١٨٩٩م، ص١٣٣.
(٢) محمود كعت: الفتاش، باريس، سنة ١٩١٣م، ص٤٣.
(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٤) ابن بطوطة: الرحلة، دار التحرير، القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٧.
(٥) السعدي: تاريخ السودان، باريس، ١٨٩٨م، ص٣.

ومن أشهر ملوك هذه الدولة (سنى على) الذى حكم في الفترة من (٨٦٩-٨٩٨هـ/١٤٦٤- ١٤٩٢م)، واستولى على مدينة تنبكت[١] في عام (٨٩١هـ - ١٤٨٦م)، ثم جني في عام (٨٧٨هـ - ١٤٧٣م) وفتح مملكة الموسى ومن أشهر ملوكها أيضًا اسكيا محمد (٨٩٩- ٩٣٦هـ/١٤٩٣- ١٥٢٩م) الذي أستولى على الحكم بعد الاطاحة بسنى على. ومن اشهر أعماله قيامه بتنظيم شئون البلاد الإدارية. وله رحلة حج مشهورة في عام (٩٠٠هـ - ١٤٩٥م) وقام بنشر الإسلام بين القبائل الوثنية مثل الماندنجو والفولانى[٢]. ومن أشهر الحكام أسكيا اسحاق (٩٤٦-٩٥٦هـ/١٥٣٩-١٥٤٩م) الذي أعاد الأمن لربوع الدولة وخاض حرب ضد سلطنة مالي.

وقد خضعت الدولة لحكم المغرب في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي عام (٩٩٩هـ-١٥٩٠م)[٣].

أما عن العلاقة بين مملكة صنفي ومصر، فكانت علاقات ثقافية، حيث وجد طلاب من صنفي يدرسون بالأزهر الشريف، كما وجدت مراسلات بين علماء الأزهر مثل السيوطي وحاكم صنفي أسكيا محمد[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص٦٤، ٦٥.

(٢) المصدر السابق، ص٦٠، ٧٨.

(٣) المصدر السابق، ص٩٥.

(٤) رسالة السيوطي لملك التكرور: ملحق برسالة ماجستير، علاقة مصر بالدول الإسلامية في حوض نهر النيجر، الباحثة زينب أحمد على، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٢م.

محمود كعت وكتابه الفتاش[1]

تميزت مدرسة التاريخ الإسلامي في غرب إفريقيا، بتأثرها بمؤثرات مغربية من حيث الأسلوب والكتابة. ومن أشهر رواد هذه المدرسة المؤرخ محمود كعت والسعدي وأحمد بابا.

ويعتبر محمود كعت مؤرخ دولة صنفي، ولد لعائلة تعيش في إقليم كرمن، ولكنه عاش في مدينة تنبكت مدينة العلم والعلماء في غرب إفريقيا.

وقد بلغ في العلم مبلغًا كبيرًا ولذلك من ضمن ألقابه لقب ألفع وهو معناه بعد حذف العين ألفا أي المعلم والفقيه، كما تولى منصب القضاء. ويعتبر صديقًا شخصيًا للاسكيا محمد. حيث صحبه في رحلة الحج.

وقد عاش فترة طويلة من العمر، بلغت حوالي ١٢٥ سنة وبدأ في كتابة تاريخه في سن الخمسين.

ولم يكتب محمود كعت كل كتابه بل أكمله حفدته من بعده ويتضح ذلك من مقدمة الكتاب. حيث يرجح أنه كتب الفصول الستة الأولى من الكتاب.

أما عن الكتاب المعنون باسم "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس". قد تم تحقيقه ونشره وترجمته إلى اللغة الفرنسية على يد المستشرقان الفرنسيان ديلا فوس وهودا، بإشراف معهد اللغات الشرقية بباريس عام ١٩١٣م.

وقد أعادت منظمة اليونسكو نشر النص العربي مع ترجمته الفرنسية في مجلد واحد عام ١٩٦٤م.

(١) أحمد فؤاد بلبع: ترجمة كتاب الوثنية والإسلام، ص٥٤٧.

ويعتبر الكتاب صورة حية لمجتمع غرب إفريقيا الإسلامي وخصوصًا عهد دولة صنفي. والكتاب كما أشرنا من قبل ثمرة تعاون بين الجد وحفيده. وقد ترك محمود كعت مسودات الكتاب لكي يقوم أحفاده من بعده بتكملته.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

قال الشيخ الفقيه الأديب القاضي العادل الزاهد الورع الولي الكاشف التقي العابد سيدي محمود كعت الكرمني[(1)] دارًا التبنكتي[(2)] مسكنا الوعكري أصلا، رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.

الحمد لله المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت والرأفة والرحمن الملك الديان القادر المنان الذي خلق الأرض والسماء وعلم آدم الأسماء وأخرج من صلبه الملوك والرعاء فمنهم متكبرون فاسقون ومنهم مقتصدون صالحون فابتلاهم بظهور الأنبياء والأخبار على السنة المرسلين الأخيار فأهلك من أباهم وصيرهم عبرة للمعتبرين والموعظة للمتقين ثم أوردت العلماء علمهم وأخلف الخلفا على أمرهم وبهم يقمع الخصم الملد ولذلك جعلهم ظلاله في الأرض وزينهم النور في الحوض. فمن أطاعهم فقد هدى وفاز ومن حاد عنهم فلقد خسر وخاب نحمده على ما أولانا من سوابغ النعم والآلاء حيث جعلنا من عباده الكرماء وأزاح عنا شر الأعداء بأدعية العلماء ووصايا الحكماء فوجب علينا الشكر والثناء والسجود والانحناء إذ هو المولى الأعلى فمن يطعه فقد هدى واستمسك بالعروة الوثقى ومن يعصه فقد هوى وباء بالخسر وغوى وأشهد أن لا إله إلا الله يوم لقياه ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ • إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] ونشهد أن سيدنا

(١) نسبة لكرمن أحد أقاليم دولة صنفي (سنفي).

(٢) تنبكت: أحد المدن المشهورة في غرب إفريقيا، اشتهرت بأنها مركز علمي، وشهدت ازدهارًا على يد الأسكيا محمد وبها جامع مشهور هو جامع سنكرى. وقد أسسها الطوارق. انظر حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية ، ص٢٤٧، ٢٤٨.

محمدًا عبده الكريم ورسوله الرحيم وصفيه الحليم ونجيه الأمين ذو الآيات الصادقات والمعجزات الباهرات والبراهين القاطعات أرسله موطدًا للإسلام ومسددًا للآنام ومكسرًا للأصنام ومبينًا للشرائع والأحكام القائل بدأ هذا الأمر بنوره ورحمة ثم يكون خلافه ورحمة الحديث والقائل لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة والقائل عليكم سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ. صلى الله عليه وسلم وعلى آله البررة الكرام وصحابته ليوث الضرغام على سائر إخوانه وذريته السادات الأعلام. إلى ناصع فيهم ينسب كل شريف ومنهم ينتمي كل أديب عفيف وبتعميم أفعالهم يقتدي كل تقي وبكريم أقوالهم يهتدي كل مقتصد منيب وبقديم منهجهم يسلك كل مرشد عريف وإلى نار هديهم بسراجه كل منفر ومحب وإلى ذروة علمهم سيموكل مقصود بخير فجزاهم الرب عنا أفضل الجزاء وأثابهم يوم التنادي أجزل الثواب وجعلنا بكرمه من المهتدين وفي زمرتهم من المنخرطين وبإحسانهم من المتبعين بجاه خير الورى وأفضل من أعطى الهدى وأكرم من وطئ الثري.

[الغرض من الكتاب]

وبعد فلما كان ذكر قصص الأنبياء والسلاطين والملوك وأكابر البلدان من عادة الحكماء والعلماء الأعيان اتخاذ بسنة القرآن وتذكيرًا لما غير من الزمان وردًا للغبي عن الحيف والهوان وعونًا للتقي على مساعدة الإخوان ومن الله علينا بأن ظهر في زماننا هذا الإمام الصالح الخليفة العادل والسلطان الغالب والمنصور القائم إسكيا[1] الحاج محمد بن أبي بكر التوردى أصلاً الكوكوي[2] دارًا ومسكنًا فأنار لنا الهدى

(١) إسكيا: لقب حربي معناه المغتصب السلطة، أو المتولي قسرًا بقوة السلاح.

(٢) الكوكي: نسبة لمدينة جاو.

بعد ظلم الدجي وأماط عنا الهدى بعد الجبن والردى فانفتح له بحمد الله البلدان شرقًا وغربًا وتداعت له الوجود فردًا وجمعًا فأذعنت له الملوك كرهًا وطوعًا فصرنا من بركاته بخير ونعمة بعد ما كنا في ضيق وبؤسًا فبدل الله تعالى ذلك بفضله كما قال لأكرم خلقه ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥].

أردنا نجمع من أحواله الحلوان مع ذكر شي عال[١] الملعون مما سهل على اليد واللسان وإلى الله سبحانه وتعالى التكلان وسميته تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقانع التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار.

[نظم الأسكيا محمد]

أعلم رحمنا الله وإياك أن الإمام العادل والسلطان الفاضل إسكيا الحاج محمد لما تولى السلطنة أقام طريقة صنفى[٢] وجعل فيها قواعد وذلك أن ليس له أحد من جنده يفرش له في مجلسه إلا جنكى وكلهم يحملون له التراب[٣] إلا جنكي فإن لا يحمل إلا دقيق الطعام وكلهم يقلعون الطاقية عند حمل التراب إلا كرمن فار[٤] وليس فيهم من يتعدى عليه بقول الصدق إلا دندفار ولا فهم من ينهاه عن أمر

(١) شي عال: هو اسم السلطان سني على، وقد كان مكروها بسبب تخريبه لمدينة تنكبت، وتشريده للعلماء، ويعتبر المؤسس الحقيقي لدولة صنفي.

(٢) صنفي: اسم الدولة التي يؤرخ لها محمود كعت، ويعتبر المؤسس الحقيقي لها "سن على" الذي توسع على حساب دولة مالى. وكانت عاصمتها مدينة (جاو). انظر رجب محمد عبد الحليم: دولة صنفي، الموسوعة الإفريقية، ص١٨٢.

(٣) التتريب: عادة كان يفعلها الأفارقة مع ملوكهم؛ إظهارًا للاحترام، وهى تعفير الوجه بالتراب عند مقابلة الملك، وكان يعف من هذه العادة العلماء فقط. انظر ابن بطوطة: الرحلة، ص٤٤٧.

(٤) كرمن فار: حاكم كرمن، منصب هام، ومعناه قائد عسكري، ويعتبر من أرفع المناصب بعد الإسكيا، وقد تولاه عمر أحد الإسكيا محمد. انظر مادهو بانيكار: الإسلام والوثنية، ص٤٢٧.

وتبعه أحب أم كره إلا بركى ولا فيهم من يدخل داره راكبًا إلا درمكي ولا في أرضه من ينادى عبده ويرسله أمر ولا يقدر أن يأتى ويفعل له في الأمر ما يفعل في أمر أسكى إلا القاضي ولا من يناديه باسمه في مجلسه إلا كسر وفك. ولا من يجلس معه على سريره إلا الشرفاء وجعل للقضاة إذا جاءوه يأمر لهم ببسط حصير الصلاة لهم وجعل للمزامين أن يجلسوا على يساره ولا يقوم لأحد إلا للعالم والحجاج إذا قدموا من مكة ولا يأكل معه إلا العلماء والشرفاء وأولادهم ومن ولو كان صغيرًا رحمه الله.

وهذا كله في أول أمره لتأليف قلوب قومه فلما ثبتت له السلطنة واستقامت المملكة، خرج من ذلك كله وجعل يسأل العلماء والعاملين عن سنة رسول الله ﷺ ويمشى على أقولهم رحمه الله حتى إتفق جميع علماء عصره على أنه خليفة وممن صرح له بذلك الشيخ عبد الرحمن السيوطي والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي والشيخ شهروش[1] الجني والشريف الحسنى مولاي العباس أمير مكة رحم الله الجميع.

[اصلاحات الإسكيا محمد]

وأقام للمسلمين حقوقًا وحرمة على نفسه وأمر لأهل موركير أن يتزوجوا ما شاءوا فيتبعهم أولادهم[2] وهو موجود إلى الآن لم يتبدل ببركته رحمة الله وأعطى الشريف أحمد الصقلي ناحية القرى والجزائر.

---

(١) شمهروش أوشهروش الجني: من الشخصيات الأسطورية، التي اقترنت وتذكر كثيرًا في التاريخ الإفريقي. ويقصد محمود كعت من ذلك أن الإسكيا محمد نال شهادة الإنس والجن في إعلانه خليفة.

(٢) كان من عادة الأفارقة أن لا يتبع الرجل أباه ولا ينسب إليه، نظر لطبيعة المجتمع الأموي السائد في إفريقيا، وقد غير الإسكيا محمد هذه النظم لتتماشى مع العقيدة الإسلامية.

[بداية تولية الإسكيا الخلافة]

وأما الشريف الحسنى مولاي العباس فكان مع أمير المؤمنين وخليفة المسلمين إسكي الحاج محمد جالسًا بحذاء الكعبة يتحادثان فقال له الشريف مولاي العباس يا هذا أنت الحادي عشر من الخلفاء الذين ذكرهم رسول الله ﷺ ولكنك جئتنا ملكًا والملك والخلافة لا يتفقان.

فقال له كيف ذلك يا سيدي فقال له مولاي العباس لا سبيل إلى ذلك إلا أن تخرج عما أنت فيه فأذ عن له إسكي طوعًا وطرد جميع الوزراء عنه وجمع جميع آلات السلطنة وأموالها وجعل ذلك كله بيد العباس وقعد عازلا نفسه ودخل مولاي العباسى في الخلوة ثلاثة أيام ثم خرج يوم الجمعة ونادى الحاج محمد وأجلسه بمسجد البلدة الشريفة مكة وجعل على رأسه قلنسوة خضراء وعمامة بيضاء وأعطاه سيفًا وأشهد الجماعة الحاضرين أنه خليفة بأرض التكرور وإن كل من خالفه في تلك الأرض فقد خالف الله سبحانه وتعالى ورسوله ثم تهيأ اسكي الحاج محمد للرجوع فلما وصل مصر(١) وجد هناك الشيخ عبد الرحمن السيوطي.

[مباركة السيوطي وإعلانه خلافة الإسكيا محمد]

فسأله إسكي عن الخلفاء الذين ذكر رسول الله ﷺ أنهم سيأتون بعده فقال اشيخ أنهم اثنا عشر خمسة منهم بالمدينة واثنان بمصر وواحد بالشام واثنان بالعراق وقد مضى هؤلاء كلهم. وبقى اثنان بأرض التكرور أنت أحدهم ويأتي بعدك الثاني. وقبيلتك منسوبة بطورد من أهل اليمن(٢).

---

(١) كانت لمصر علاقات كبيرة مع دولة صنقي، ومن أبرز مظاهر هذه العلاقات قدوم الطلبة من صنفي للدراسة بالأزهر الشريف. وقد خصص لهم الأزهر رواقًا يسمى رواق التكارنة.

(٢) ادعاء النسب العربي، كان من الأساليب التي لجأ إليها حكام الدول الإفريقية؛ لإضفاء الشرعية على حكمهم.

وسكنك بكوكو إنت مريد منصور عادل كثير الفرح والعطاء والصدقة لا يعجزك موضع من مملكتك إلا موضع يقال له بُرْك بباء مضمومه ممالة فواو ساكنه بعد كاف مضمومة ثم بفتح الله ذلك الموضع بيد الخليفة الثاني بعدك تنام أول الليل تم تصلى آخره ويصيبك عمى فى آخر عمرك ويعزلك واحد من أبنائك ويرميك في بعض الجزائر ثم يخرجك ابنك الآخر ومصداق ما قلت علامة في فخذك اليسرى كان من برص فأبرأه الله بغير علم أحد فقال اسكي صدقت يا سيدي وقرة عيني وقال له الشيخ ولك أبناء كثير نحوماية رجل كلهم يتبعون أمرك في دولتك ثم يعكسون الأمر بعدك والعياذ بالله حتى يصير الأمر ملكًا عطوفًا وحزن لذلك وسكت مليا ثم تنفس الصعداء وزفر زفيرة الثكلاء ثم سأل الشيخ أيضًا هل يخرج من صلبه من يقيم الدين ويصلح أمره فقال الشيخ لا ولكن يأتي رجل صالح عالم عامل تابع السنة اسمه أحمد يظهر أمره في بعض جزائر سير ما سنة ولكن من قبيلة علماء سنقر وهو الذي يرثك في الخلافة والعدالة والإصلاح والجود والتقي والزهد والنصرة ويكون كثير التبين والسنة دائم التحرك في جلوسه ويسبقك بكونه متبحرًا في العلوم وأنت لا تعلم إلا أحكام الصلاة والزكاة والاعتقادات وهو آخر الخلفاء المذكورين ثم سأل إسكي الشيخ هل هذا الخليفة يجد الدين فيجدده أو يجده خامدًا فيوقده فقال له الشيخ بل يجد الدين خامدًا فيكون كشرارة الجمر وقعت في يابس الحشيش فينصره الله على جميع الكفار والمخالفين حتى تعم بركته البلاد والأفاق والأقطار فمن رآه وتبعه كمن تبع النبي ﷺ ومن خالفه فكأنما خالف النبي ﷺ. يتوسط الأولاد في زمانه لا كنهم لا يزالون على الجهاد إلى فئاتهما ثم قال الراوي عن شيخه القاضي حبيب فبسبب هذا الرجل المذكور والخليفة المنصور تغلظ شي عال[1] الملعون في قتل قبيلة سنقر وكان يسمع خبره

(١) شي عال: هو سني على، وهو كان يميل إلى خلط العقيدة الإسلامية بالموروثات الإفريقية، وكان له

كثيرًا من افواه الكهان. وإنه يخرج على قبيلة سنقر فقتلهم حتى لم يبق منهم إلا طائفة قليلة ثم سأل الشيخ أيضًا عن أمر أرض تكرور ما يؤل إليه آخره فقال الشيخ أما أرض التكرور فهي أول أرض تخرب لأجل إباياتهم الملوك ومسألة عن أمر وما سبب خرابها فأخبره بما أخبر وسأله أيضًا عن تنبكت وجن فأخبره عن أمرهما بما سيجيء إن شاء الله ثم سأله عن أمر أربعة وعشرين قبيلة الذين وجدهم بعد شي بار مملوكة له ورثهم عن آبائه فقال الشيخ صفهم لي فوصفهم له فقال له الشيخ أما نصفهم فملكه لك سائغ وأما النصف الآخر فتركهم أفضل لأن فيهم شبهه فقال الشيخ فما الذين ملكهم لي سائغ فقال الشيخ الأول قبيلة جند كده بجيم ودال المكسورتين بينهما نون ساكنه وكاف وتاء مفتوحتين والثانية قبيلة جم ول بجيم مفتوحة وميم ساكنه فواو مفتوحة ولام مما له مكسورة والثالثة جم تنى والرابعة كم والخامسة سربتى والسادسة من كفار بمير تنسب بجركربكر والسابعة تنسب بتكرنب والثامنة تنسب بكسمبر والتاسعة تنسب بسمسبيك والعاشرة بسرك والحادية عشر تسمى بكرنكي والثانية عشر تسمى بأدبى.

مواقف عنيفة مع العلماء.

[تساؤلات الإسكيا محمد للشيخ السيوطي]

عن أحكام التعامل مع هذه القبائل[1]

ثم قال إسكي للشيخ المذكور في حال من ادعى من هذه القبائل أنه ابن حر أو حره فقال الشيخ أما من ثبت أن أباه حر وأمه من هذه القبائل فملكه لك سائغ وأما من ثبت أن أمه حره وأباه من هذه القبائل فإن كان أقام في دار أبيه وعمل بعلمه ملك أيضًا ملكه وإن كان خرج من دار الأب إلى دار الأم فليس لك ملكه لأن هذه القبائل لم يزل الملوك والسلاطين منذ زمن ملكي إلى شي بار يحذر من الناس عن مناكحتهم فوافق قول الشيخ أقوال العلماء الذين سألهم إيسكي قبل ذهابه إلى الحج رحم الله الجميع ثم بعد رجوع السلطان العادل إسكي الحاج محمد رحمه الله وهو أيضًا على تحذيرهم عن مناكحة هذه القبائل فطل من نكح فيهم إمراه فمن يس موركير فولده ملكى فكل أمرأة نكحها رجل فهم فولدت فإن أحبت لولدها الحرية فلتخرجه من دار زوجها على دار أبيها والإفان أقام الولد بدار الزوج وعمل بعمل الزوج فهو أي الولد ملكي وهذا بعد ما سأل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي عن أمر هؤلاء القبائل فأخبره كما أخبره الشيخ عبد الرحمن السيوطي واتفقت أقوالهما كما يقع الحافر على الحافر ثم أمر الشيخ محمد بن عبد الكريم إسكي الحاج محمد أن يكتب للخليفة الذي يجئ بعده ويطلب منه الدعاء. وقال له إسكي الحاج محمد وهل تبلغ تلك البراءة فقال الشيخ أرجو أن تبلغ إن شاء الله فأمر الكاتب على بن عبد الله أن يكتب براءة.

---

(١) تنفيذًا لسياسة إضفاء الطابع الإسلامي على إمبراطورية صنفي، كان الإسكيا محمد يتساءل عن قبائل كان يعتبر مالكها طبقًا لتقاليد هذه البلاد ومحاولة إيجاد رأي شرعي في حكم ملكية هذه القبائل.

[براءة إسكي محمد للخليفة من بعده]

هـذا كـتاب أمـير المؤمنين قامع الفجار والكافرين إسكي الحاج محمد بن أبي بكـر أبـى وارثـه المسدد والقائم بأمره المؤيد المؤمنين أحمد المنصور. فالسلام أشهى من كل مشتهى وإكرام أنور من الدر وأبهى يحصك ويعم على كافة من مِنْكَ وإليك بـروح وريحـان فموجـبه إلـيك أيها الأخ البر الصالح أعلامك وتبشيرك بأنك آخر الخلفـاء وقاهر الأعداء وهادي السعداء باتفاق العلماء ونحن نطلب منك الدعاء وأن أكـون يـوم القـيامة مـن كـريم زمـرتك كما نسأل الله تعالى العصمة من فتن الزمان ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياك في زمرة خير الورى. آمين.

فرأى الشيخ أن يبلغ هذه البراءة بإيمان وجه فأمن الحاضرون على دعائه قال الشـيخ محمـود كعـت ولـيعلم كل من وقف على هذه القصص التي ذكرناها أنا لم تقصـد بذكـرها مـباهاه ولا إفـتخارًا بل لما رأيناه وشاهدناه من مناكرة أهل الزمان أحـوال السـلطان مـع إتفـاق العلمـاء الأعـيان على أنه من الخلفاء النبلاء والأمراء النجباء فلم يضره ذلك في دينه ولا في دنياه بحمد الله تعالى وكما لم يضر من يأتي بعـده إن شـاء الله أقـوال الحسـاد وإبايـة[1] الجهـال وسـعايه القرار والفساق قال الفقـيه محمود ويعضد قول الإمام ويوافقه ما روى عن الشيخ عبد الرحمن الثعالبي مـن أنه سيكون آخر الزمان في أرض التكرور خليفتان أحدهما يظهر في آخر القرن التاسع والآخر يظهر في أول القرن الثالث عشر ينكرهما أهل عصرهما اشد التنكير وينسبون أفعالهما إلى الظلم والأباطيل فيقمع الله لهما كل جاهل جحود وكل عالم حسـود سـيجتمعون في جميع الأوصاف الحميدة إلا في العلم يفيض الله في يديهما الأموال العريضة المخزونة يصرفانها فيما يرضى الله ولترجع إلى ما كنا بصدده من

---

(١) إباية: امتناع.

ذكر مناقب الإمام العادل والسلطان الفاضل فلما ملكه الله جميع أرض شي[1] وتمكن في السلطنة عزم على الذهاب إلى بيت الله الحرام للحج وزيارة قبر النبي ﷺ.

[رحلة حج إسكيا محمد وزيارته لمكة]

وتهيأ وخرج في العام الثاني بعد تسع مائة ومعه من العلماء الأعيان الشيخ محمد تل وألفا صالح جور وكاغ زكريا ومحمد تتنبنك والقاضي محمود يربغ والشيخ مور محمد هوكار والمبتلي بالتأليف أنا محمود كعت. ومن أمراء النواحي ابنه إسكي موسى وحر كركي علن فلن وغيرهم من العبيد الخدام ثمانمائة عبد رئيسهم فرح مبين وحج البيت في ذلك العام وتصدق على فقراء الحرمين بمائة ألف دينار ذهبًا وإشترى بمثلها جنانًا وبيوتها وحبسها[2] على الفقراء والعلماء المساكين ثم طلب من أمير مكة مولاي العباسي[3] أن يعطيه واحد من الشرفاء إما أخاه أو ابنه ليتبركوا به وهذا بعد ما أَمَّرَه مولاي العباسي على بلاد التكرور وبين أنه واحد ضمن الخلفاء الاثني عشر وقال له مولاي العباسي فسأعطيك إن شاء الله من هو كأنا ولكن لا يمكن ذلك الآن. ثم أمر مولاي العباسي ابن أخيه مولاي الصقلي أن ينزل إليه فترك في العام الخامس وعشرين بعد تسعمائة ووافق قدومه إلينا حال بداية التأليف ووصول القلم إلى هنا فقد منا ذكر مناقبه على مناقب غيره ومما بلغنا منها أنه لما خرب ودنا إلى تنبكت نحو مطلبه فقدم الإمام إليه من طاغ وآتاه بمائة ألف دينار وخمسمائة خادم ومائة إبل ضيافة له ثم ناوله الشريف الحسنى براءة مولاي العباس.

---

(١) أرض شي: أي تولي الحكم بعد عزل سني على.

(٢) حبسها: أى أوقفها على الفقراء، وقد كان إسكيا محمد رجل كثير الخير.

(٣) مولاي العباسي: رجل من الأشراف، كان يتولى شرافة مكة أي حكمها. أما الخليفة العباسي فكان مقامه القاهرة في عهد سلاطين المماليك.

[قدوم الشريف الصقلي ورؤية محمد بن أقيت]

فسأعطيك إن شاء الله من هو كأن ولكن لا يمكن ذلك الآن ثم أمر مولاي العباس ابن أخيه مولاي الصقلي أن ينزل إليه فنزل في العام الخامس والعشرين بعد تسعمائة ووافق قدومه إلينا حال بداية التأليف ووصول القلم إلى هنا فقدمنا ذكر مناقبه على مناقب غيره ومما بلغنا منها أنه لما قرب ودنا إلى تنبكت نحو يوم رأى الشيخ الإمام القاضي محمود بن عمر ابن محمد أقيت[1] في منامه النبي ﷺ في تلك الليلة وكانت ليلة الحادي عشر ذي الحجة الحرام ويعيره جاث فأقبل الشيخ الإمام إليه فقبل ما بين عينيه فتحدثا في أشياء ثم قال له النبي ﷺ أعلم يا محمود أنه يقدم إليكم اليوم حفيدي في أثواب خضر على ناقة سوداء في عينه اليسرى قرح وهو الذي يصلي بكم هذا العيد فإذا أتاكم فأنزلوه بموضع يقرب إلى الماء والمقابر وإلى المسجد الجامع وعلى السوق ثم نبح كلب فوثب بعير النبيﷺ للقيام فقطع كلامه وركب بعيره وسار ثم انتبه الشيخ وتوضأ وجلس قليلاً فانفلق الفجر وكان ذلك اليوم يوم العيد فأقبل إلى مجيء البعير فوجد آثاره في الأرض قد ورد ذلك الموضوع بهراوته ثم خرج إلى المسجد فصلوا الفجر وطلعت الشمس وخرجوا على صلاة العيد أمر الشيخ محمود المؤذن إبراهيم بن عبد الرحمن بن السيوطي وألفا صالح بن محمود ألفا محمد بن المدان أن ينظروا له الطريق وهل يأتى أحد من قبل المشرق فنظروا فلم يروا شيئًا ثم أمرهم ثانيًا وثالثًا فقالوا لم نرى شيئًا فتعجب وقال الله أكبر وجلس قليلاً ثم قال لهم انظروا فإني أظن أن هذه الرويا لا تكذب فاطلعوا فوق الربى ونظروا إلى بعد فقالوا قد رأينا

(١) محمد بن عمر بن أقيت: تلقى العلم عن عمه وأبيه، وارتحل لمصر وتقابل مع علماء الأزهر، ثم أجازوه، توفى عام (٩٠١هـ - ١٤٩٥م). انظر أحمد بابا النبكي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٩٨٩م، ص٣٥٣.

شيئًا يشبه طيرًا وقال لهم أمهلوا قليلاً ثم انظروه ففعلوا فإذا هو امرئ لابس ثوبًا أخضر على ناقة سوداء فقال لهم الشيخ هذه بغيتي ثم قص لهم ما رأى في البارحة فلما وصل إليهم الشريف أحمد الصقلي وجدوه كما وصفه جده رسول الله ﷺ فاكرموه وحملوه على عنقهم إلى موضع يقال له بسوكر وأنزلوه هنالك ثم قدموه إلى المصلى فصلى بهم العيد ثم لما رجع الشيخ من المصلى نظر الموضع الذي دوره بالهراوه ووجده كما عهد من آثار جثة البعير ودوران الهراوة فأمر تلامذته ببنائه وسماه كلضح وإتخذه أهل تنبكت موضعًا يمدحون فيه النبي ﷺ[1] في الأيام العظام ويدرسون فيه الأحاديث ثم أمر الشيخ بقتل جميع كلاب تنبكت لهذه الرؤيا.

[براءة مولاي العباس للإسكيا محمد]

وفيها ذكر أشياء كانت بين مولاي العباس وبين الخليفة إسكيا وأعلم يا أخي أن أهل بيتنا ليس عليهم شيء من كلف السلطنة وقد أرسلت إليك ابن أخي وهو كنفسي فإن كنت تستطيع أن تسقط تلك الكلف عنه وعن أهله فليقم عندك وإلا فاتركه يرجع فقال الإمام بعد قراءة البراءة فقد جعلنا ما هو أصعب من هذا لمن هو دونك فكيف لا نفعله لك.

---

(١) من عادة سكان غرب إفريقيا، عقد مجالس ليلية في المناسبات الدينية لذكر ومدح الرسول ﷺ وقراءة كتاب الشفاء للقاضي عياض.

[وثيقة أمان إسكيا محمد للشريف بعد البراءة](1)

ثم أمر كاتبه على بن عبد الله أن يكتب له وثيقة في ذلك معلمًا كل واقف عليه من الولاة والقضاة والسادات أن لا يتعرضوا له ولا لرهطه الذين جاءوا معه ولا لأزواجهم وذرياتهم في شيء من أمور السلطنة ولو ضيافة لهم شفاعة في كل شيء إلا النفس التي حرم الله وإن كان ما شفعوا فيه جناية فعلينا وعلى نوابنا إرثها أو في مال فعلينا ضمانه وكل من خالف هذا الأمر فلا يلو من إلا نفسه وقال للحاضرين حوله ليبلغ الشاهد منكم الغائب.

[ذكر نسب الشريف أحمد الحسني]

ثم سأله الإمام عن نسبه الشريف فأمر خادمًا كان حوله أن يأتي بكتاب له فذهب فأتى بالكتاب فتناوله منه ففتحه فأخرج منه رقعة فدفعها إلى الإمام إلى على المذكور فقرأها فإذا فيها.

أنا أحمد بن عبد الرحمن بن إدريس بن أبي يعزى بن حسن بن إبراهيم ابن عبد الله بن عيسى بن إبراهيم بن عبد الرحمن عرف بزين العابدين بن الحسن بن على بن أبي طالب وأمه بنت رسول الله ﷺ ثم سأله الإمام أيضًا عن حال ظعنه ورحلته من بلده بغداد وكيفية حاله في الطريق ووصوله إلى تنبكت فقال أعلم أن أمري عجيب وذلك أني كنت ذات يوم أنا وأخواتي... مولاي يعقوب بن موسى بن فضل بن مولاي الرشيد بن محمد المتوفى بن أبى يعزى بن ه د بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجعلي بن موسى بن عباس بن أحمد بن

(١) كان السلطان الحاج إسكيا محمد يحتاج لإضفاء الصفة الشرعية على حكمه ولذلك حاول أخذ براءة من الشريف العباس، حيث إن إسكيا كانوا يشعرون بأنه مغتصب الحكم من سني على.

علـى بن زين العابدين مولاي جيدان ومولاي أبو فارس ومولاي إسماعيل جالسين عـند أبيـنا الشيخ عبد الرحمن وهو ينظر إلى وجوهنا ثم قال لمولاي جيدان أن الله سـبحانه وتعـالى يرسـلك إلى مدينة مكة أن تكون إمامها وحفائدك هناك ثم ألتفت إلى أبـي فـارس جالسين عند أبينا الشيخ عبد الرحمن وهو ينظر إلى وجوهنا وقال لـه يـا أبـا فـارس إن الله يرسـلك إلى مديـنة مـراكش ويقـويك علـيها وربما تكون حفائدك سلطانهم ثم ألتفت إلى إسماعيل وقال له يا إسماعيل إن الله يعطيك العلم والحكمة والدولة والهيبة ولكن مسكنك مدينة فاس وتكون قاضيها وأسباطك هناك ثـم ألـتفت إلى مـولاي أحمـد عـرف بالصـقل بنعال ودفع يده الكريمة على رأسي وبكـى بكاء شديدًا وخر مغشيًا حتى ظننا أنه يموت فلما فاق واستغفر ربه ثم قال لـي يـا مـولاى أحمـد سيصـيبك بعدى هم وكرب وتقع في شدة ظلمًا حتى تخاف علـى نفسـك مـن الهـلاك ثـم ينجـيك الله سـبحانه وتعالى من ذلك ثم يأمرك الله بالنـزول إلى أرض السـودان وتكـون أوتـادهم من أرضه وينقسم أبناؤك ثلاثة أقسام ويـرجع فـرقتان إلى بغداد ويبقى فرقة بأرض السودان وربما تكون حفائد الفرقتين أقـوياء في بغداد وحفائد الفرقة الباقية هم أوتاد أرض السودان ويكثر فيهم الأولياء وهـذا الـذي ذكـرت لكـم قـد ذكـره لـي جدكم سيد المرسلين ﷺ في المنام قبل أن تتـزوج أمكـم الكريمة لك زهر بأنني عشر عامًا ثم بعد ذلك توفى الشيخ رضى الله عنه، في عام مكمل ثمانمائة وخمسين في آخر ذي الحجة الحرام ليلة الاثنين بين المغـرب والعشـاء ودفـناه ليلتئذ في دوار مسجد بغداد تحت شجرة وكان الأمر بعد مـوته كمـا ذكر فتوجه إخواني كلهم إلى المواضع التي أشار لهم وبقيت أنا ببغداد فخـرجت منها ذات يوم أقصد طائف فأصابني العطش ولم أجد واد إلى أن غربت الشـمس وظلـم اللـيل وغم السماء وطللت عن الطريق حتى أيقنت بالهلاك فأويت إلى شـجرة وقـد بلغـني مـن الـتعب والعطـش والجوع هم عظيم فبت هناك إلى أن

اصبح الله سبحانه وتعالى بخير الصباح فلما صليت الصبح ألتفت إلى جانبي فإذا برجل ملطخ في دم وفى تحت إبطيه خربش فنهضت قائمًا بالتعود وذهبت إليه أنظر حاله فوجدته في حال الرمق ثم نظرت إلى بعد فإذا بسبعة رجال يسرعون وبإيديهم المدافع فلما قربوا إلى قالوا والله ما ينجيك هذا اليوم شيء وقابلوا إلى بالمدافع[1] وضربوها على وأخطئوا كلهم فهربت وتبعني منهم ثلاثة حتى دخلت مدينة فاس. وقصدت دار على بن تان وجاء الثلاثة ووقفوا بباب الدار وطلبوا أن يخرجني على فأبى وقال والله ما نخرج حفيد رسول الله ﷺ لتقتلوه ظلمًا وطلب أن يعطيهم الدية فأبوا وكان له ابن واحد ذكر اسمه عبد الله فناداه يا عبد الله فجاء الابن فلما رأوا الابن قال لهم على هل هذا يماثل طريدكم قالوا نعم قال فخذوه وافعلوا فيه ما شئتم واتركوا حفيد النبي ﷺ فقتلوه ساعتيئذ وكروا راجعين ثم من الله تعالى على على المذكور بعشرين في تلك السنة وشبوا كلهم وأنا عند على ونكحوا وولد كل واحد منهم عشرين وشبوا أيضًا وعلى حى وأنا عنده فركب على وأولاده وحفائده فصاروا مائة وأحد عشر فارسا قاصدين إلى حج بيت الله الحرام وأنا معهم فلما حججنا وزرنا وقضينا مناسك الحج قال على المذكور يا أهل الحرمين إن الله تبارك وتعالى أكرمني شيء لم يكرم أحد بمثلها في زماننا ثم قص عليهم القصة الماضية وأنطلق راجعًا مع أولاده وحفائده وبقيت بمكة عامين ثم أمرني مولاي العباس بأن أنزل أرض التكرور. وأخبر بأن هناك خليفة من خلفاء جدنا رسول الله ﷺ وأكدت عنده.

---

(١) المدافع: نوع من البنادق الطويلة، عرفت في بلاد المغرب. انظر محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٢م، ج١، ص٣٧٨.

[رحلة الشريف الصقلي إلى تنبكت]

وخرجت إلى مدينة بغداد متهيا فتحت ذات ليلة وكانت ليلة الجمعة فرأيت النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر عند رأسي وقال يا مولاي أحمد أخرج إلى مدينة تنبكت وهو موضع سكنك وأنت أوتاد أرضه فخرجت في غده من بغداد وإمامها يومئذ عبد الله بن يوسف وقاضيها عبد الرحمن بن عيسى وجئت الطائف - فوجدت عبد البر بن وهب إمامها ومالك بن عوف قاضيها ثم ارتحلت منها فزودوني بألف دينار فجئت مصر فوجدت محمود بن سحنون إمامها وعبد العزيز قاضيها ثم ارتحلت منها فزودوني بألف دينار فجئت الإسكندرية فوجدت محمد ابن يوشع إمامها وعبد القادر بن سفيان قاضيها ثم ارتحلت منها وزودوني بألف دينار فجئت مصراط[1] فوجدت أحمد بن عبد الملك إمامها وعلى بن عبد الله قاضيها ثم ارتحلت فزودوني بألف دينار فجئت طرابلس ووجدت داوود بن ناخورا إمامها وعبد القهار بن القيران قاضيها ثم ارتحلت وزودوني بألف دينار وخمسمائة دينار فجئت غدامس[2] ووجدت ابن عباس بن عبد الحميد إمامها وأحمد الفدامس بن عثمان قاضيها ثم ارتحلت فزودوني بألف وسبعمائة دينار فجئت فرجان فوجدت محمد الهادي بن يعقوب إمامها وموسى بن سنوسي قاضيها ثم ارتحلت وزودوني بألف دينار فجئت تونس فوجدت يحي بن عبد الرؤوف إمامها ونوح القرشي قاضيها ثم ارتحلت فزودوني بألف وثلاثمائة دينار فجئت سوسه ووجدت عبد الحق بن الحر إمامها وعبد الكريم بن عبد الحفيظ

---

(١) مصراطه: إحدى البلدان الليبية، تبعد عن طرابلس حوالى ٢٠٠كم. انظر الحسن بن الوزان، وصف إفريقيا، الرياض، ١٩٧٩م، ص٤٨٢.

(٢) غدامس: إحدى الواحات الليبية، وتقع على مسافة ٢٦٠كم من شرقي طرابلس، وعلى مسافة أربعين كم جنوب ميناء مصراته.

قاضيها ثم ارتحلت وزودوني بألف ومائة دينار فجئت فاس ووجدت محمد بن سنوسي إمامها والقاضي عياض بن موسى قاضيها ثم ارتحلت فزودوني بألف ومائتي دينار فجئت مكناسة ووجدت محمد بن يعقوب إمامها والقاضي بن عبد العزيز قاضيها ثم ارتحلت وزودوني بألف دينار فجئت تندوف فوجدت قصي بن سليمان إمامها والطاهر البكي قاضيها ثم ارتحلت وزودوني بألف دينار فجئت يرون فوجدت على بن حميد إمامها وعبد الوهاب بن عبد الله قاضيها ثم ارتحلت وزودوني بألف وخمسمائة دينار وقصدت تنبكت فأقام الشريف الحسن أحمد الصقلي بتنبكت ونكح هناك أمرأة اعرابية من أهل تافلالت إسمها زينب فولدت له مزاور ومحمد وسليمان ورقية وزينب.

[عطايا الإسكي محمد الشريف الصقلي]

ثم أن الإمام إسكيا الحاج محمد أطال الله حياته وأسكننا وإياه جنته لما لم يجد صبرًا على مفارقته قدم إليه بنفسه فأزعجه إلى كاغ فأنزله في دائرة بيته وأضافه بألف وسبعمائة زنجي منهم بلد كوى بكاف وواو ممالتين فياء مسكونة وزنجي كين بكاف مضمومة ضمه إشمام فياء مسكونة ونون مضمومة اسم بلدين تنبكت ودند وإن كوي بين البحرين من ناحية بمب نقلته من فم موسى وزنجي كريا وطان أبوهم وعكري الأصل ولذلك يقال لهم تنكر وزنجي أنكند بهمزة مضمومة فنون مدغمة وكاف مضمومة وإشماما[1] ونون ساكنه ودال مضمومه وزنجي ككنك وهي عريشة في أرض ماسنة وزنجي جزيرة بركنك بباء وراء ممالتين فكافين مضمومتين إشماما بينها نون مسكونة مدغمة وزنجي جزيرة

(١) الإشمام: هو إرجاع الحركة لأصلها: وهو الواو.

طيطون بطاء ممالة فياء ساكنة وطاء مفتوحة وواو مفتوحة ونون ساكنة وزنجي جزيرة كنككر بكافين أيضًا بينها نون كالمتقدمة فكاف مضمومة مماله وراء مكسورة مماله تذييل.

[مجالس الإسكيا محمد والشريف الصقلي]

قال القاضي محمود كعت وفي سابع قدوم الشريف الحسني أحمد الصقلي عرف بالعقل بنعال وذلك يوم الاثنين جاء إليه الأمير العادل إسكي للموانسة والمفاكهة وجلسا لذلك إلى أن ارتجعت الشمس فقال الأمير للشريف يا سيدي هل يمكن للإنسان أن يرى الجان ويكلمه بغير دخول خلوة بالزكر والصلاة ونحو ذلك فأمر الأمير الحاضرين بأن يذهبوا فذهبوا كلهم وبقى الأمير والشريف جالسين مدة طويلة قال الأمير فرأيت كأنما الأرض كلها صارت ماء وكأن النجوم تخرج من ذلك الماء فتصعد إلى السماء وكان الطيور تأتي حولي فتذبح أنفسها ثم رأيت سبعة رجال يحملون كرسيا أخضر حتى وضعوها بيننا فجلسنا قليلاً فإذا برجال كثيرين في أيدى بعضهم الكتب وفي أيدى بعضهم الألواح بينهم شيخ متوكأ على هراوه لم أدر من حيث أتو فجلسوا محدقين بنا وتقدم الشيخ إلى الكرسي فجلس عليه ثم قال لي الشريف هذا كبير تلاميذ الشيخ شمهروش وهو من أولاد ميمون حج مع شيخه عشر حجه فقلت بعد ما سلم علينا ما اسمه فقال دميرين يعقوب فتحيننا تحيه متعارفين ثم قال لي الشريف كل ما كنت تريد أن تسأل الشيخ شمهروش عنه لو كنت رأيته فاسأل هذا عن ذلك فإنه علم جميع علم شمهروش فقال أحب أن أعرف أصل سغي وأصل وعكري فقال دمير بن يعقوب يا أمير المؤمنين وخليفة المسلمين أني سمعت من شيخي شهروش(١) رضي الله عنه وأرضاه أن جد سغي وجد

---

(١) نلاحظ كثرة اختلاط الروايات الحقيقية بالأساطير في التاريخ الإفريقي، والغرض من هذه القصص هو محاولة إضفاء الشرعية على حكم الإسكيا محمد.

وعكري وجد ونكر كانوا إخوان شقائق وأبوهم كان ملكًا من ملوك اليمن[1] اسمه تراس بن هارون فلما مات أبوهم تولى على المملكة أخوه ميسرف بن هارون فضيق على أبناء أخيه أشد التضييق فهاجر الأبناء من اليمن إلى ساحل البحر المحيط ومعهم زوجاتهم ووجدوا هناك عفريتا من الجان فسألوه عن اسمه فقال رور بن سار فقالوا وما جاء بك في هذا المكان فقال تُكُ قالوا وما اسم هذا المحل فقال لا أعلم فقالوا يحق لهذا المكان أن يقال له تكرور وقالوا وما خفت منه فقال سليمان ابن دامة وكان عفريت تارة يطير في الهوى وتارة يصعد إلى الجبال وتارة يغمز في الماء وتارة يخرق الأرض ويدخل فيه وكان اسم كبير الرجال المذكوريين وعكري ابن براس واسم زوجته آمنة بنت بخت وهو جد قبيلة وعكري بواو مفتوحة وعين ساكنه وكاف وراء مضمومه ممالتين فباء ساكنة واسم ثاني الرجال سني بن براس واسم زوجته سارة بنت وهب وهو جد قبيلة سُغُى بسين وغين مضمومتين ممالتين بعدها ياء ساكنة وثالث الرجال اسمه ونكر وهو أصغرهم وليس له زوجة وإنما كان لهم أمتان[2] اسم أحدهما سكري واسم الآخر كسري فاتخذ ونكر سكري سرية له وكان جد قبيلة ونكر بواو مفتوحة ونون مدغمة وكاف مفتوحة فراء مفتوحة وكان لهم عبد يسمى بمينك فزوجوه بأمتهم كسرى وهو جد قبيلة مفنك بميم مكسورة ممالة فياء مدغمة ونون مدغمة وكاف مفتوحة وإلى أبائهم نسبوا ثم تفرقوا في الأرض وكان كبيرهم وعكري سلطانهم وسموه كيمغ ومعنى ذلك في كلامهم طال الإرث يريدون بذلك أطال الله وورثنا الملك وقيل غير ذلك هكذا ذكره الشيخ شمهروش فقال له الإمام فجزاك الله احسن جزائه فهل أخبرك الشيخ بخبر عوج الذى يقول الناس أنه أكبر أهل الدنيا فقال نعم قد ذكر لي الشيخ من أخباره ما لا يمكن أن اذكره كله الآن ولكن مما أذكر لك شيئًا منها إن شاء الله

(١) من السنن المتبعة عند ذكر أصول القبائل الحاكمة في بلاد السودان، إرجاع أصولها إلى أصول عربية يمنية على الرغم من عدم التأكد من صحة النسب.

(٢) أمتان: جاريتان.

سمعت منه رضي الله عنه[1] أن عوج ابن نعناك كان رجلاً جبارًا وكان أكبر أهل الدنيا في زمنه وأطولهم وكان لايشبع وكان صحرائيًا لا يخالط الناس إلا أحيانا وكان يصطاد الوحوش والحيتان ويأخذ بعض الطيور في طيرانها ولا يحرث ولا يكسب شيئًا إلا الصيد وإذا قرب حصاد مزارع الناس سبقهم عليها فأكلها واستأصلها فإذا جاء القوم ليطردوه طردهم وأخذ بعضهم ورمى به بعضًا فيموت المرمى به حتى خاف الناس منه وتركوه فلما اشتد عليهم الضرر احتالوه فطرحوا من أنفسهم على كل بيت ثوبًا فجمعوا تلك الأثواب فأعطوه لعوج دينا إلى شهرين ولما جاء وقت الحصاد جعل على عادته ليأكل المزارع فرآه الصبيان فقالوا هذا مديانـنا[2] هذا مديانـنا إقضي لنا ديننا ففر عنهم وترك لهم مزارعهم فلما قرب وقت الطوفان قال النبي عليه السلام[3] ياعوج إحتطب لي ما أصنع منه فلكا لاشبعك فذهب عوج لذلك واحتطب عيدانا كثيرة فلما رآه أهل القرية خافوا أن يهلكهم تلك العيدان إن وصل بها وطرحها فخرج بعضهم إليه ولقيه وقال له يا عوج إلى أين تقصد بهذه العيدان فقال النبيِ نوح عليه السلام أمرني أن احتطب له لكي يشبعنى فقال الذلك جمعت هذه فقال عوج نعم قال أما تعلم أن نوحًا يغرك بل لا يملك ما يشبعك به فطرح عوج تلك العيدان كلها إلا عودًا واحدًا اتخذه لعصاه فجاء إلى النبي نوح عليه السلام فقال إعطني ما في يديك فقال عوج هذا عصاي فقال النبي نوح عليه السلام خذ شق خبز فاحتقره وطرحه في فيه ولم يمكن أن يضم عليه فاه ثم أخرجه وجعل يأكله قليلاً قليلاً حتى شبع وبقى بعض الشق كأنه لم ينقص فقال عوج الحمد لله رب العالمين اليوم شبعت لم أشبع قبله قط فقال النبي نوح عليه السلام فستشبع بعده أيضًا مرة فلما نزل الطوفان وكاد الماء أن يغرق عوج صعد على

---

(١) يقصد سمع من شمهروش.

(٢) أي المدان لنا.

(٣) المقصود به نوح عليه السلام.

بعض الجبال وجلس وكانت الحيتان تأتي إليه فيأخذها ويشويها بعين[1] الشمس ثم يأكلها هكذا إلى أن شبع وراو الماء أن يغرقه فقام ثم ارتفع الماء إلى صدره ولم يجاوز صدره إلى أن غاص وكان لا ينام إلا بعد سنة فأخذته السنة في بعض الصحارى ووجده بعض إماء النبي نوح عليه السلام نائمًا ومررن نحو رجليه إلى طلب الحطب فلما رجعن وجدته قد إحتلم وسال أحتلامه كالسيل فظنن ماء فخضه محملن كلهمن من ماء أحلام عوج وكن خمس إماء أكبرهن ماسي بنت سر والثانية وهى تلى ماسي في السن اسمها سور بنت سر وتليها في السن كاتو وتليها جار وتليها سبط وكلهن بنات سرى فلما ولدن ولدت كل امرأة توأمين رجلاً وأنثى فولدت ماس جنك ومسينين وولدت سور بوبو وسرى وولدت كاتو تمبو وحدب وولدت جار كرنكي وسار وولدت سبط سرك ونار فلما كبرا الأولاد أذن لهم نوح عليه السلام أن يرتحلوا مع أمهاتهم فينزلوا في ناحية البحر ويصطادوا حيتانا يعيشوا بأنفسهم ويأتوا له بشيء من ذلك الحيتان ففعلوا ذلك إلى أن يلنوا النكاح فتزوج جنك سرى وكان أبا قبيلة جنك بجيم وكاف مكسورتين ممالتين ونون مدغمة بعدها كاف مماله وتزوج بوبو ميسيين وكان أبا قبيلة بوبو بباء موحده مماله فواو مماله وباء وواو أيضًا لذلك وتزوج كرنكي سور وكان أبا قبيله كرنكي وتزوج تمبو سور وكان أبا قبيلة كرغن بكاف وغين مضمومتين ممالتين بينهما راء ساكنه وتزوج سرك سار وكان أبا قبيلة سرك سين وكاف مضمومتين ممالتين بيهما راء ساكنه وكانوا في تلك الحالة بزمن النبي نوح عليه السلام فلما توفى النبي نوح عليه السلام تفرقوا وتشتتوا فرارًا من الرقية[2] فأما تمبو وبوبو قصدا مع أبنائهما الصحارى وأما جنك وكرنكي وسرك فدخلوا في البحر إلى بعض جزائره ثم تناسلوا وتكاثروا وكان هنالك إلى أن طلع عليهم الناس فأخبر بخابرهم بعض ملوك بني

(١) يظهر أثر الفكر اليهودي في منطقة غرب إفريقيا، حيث كان تعيش جماعة كبيرة من اليهود تأثر بهم السكان.

(٢) الرقية: المقصود العبودية.

اسرائيل فأرسل قومه ليأخذهم وكان صغيرهم سرك جاهلاً غبيًا أحمق فقال له أخوه جنك وكرنكي يا سرك قل لرسل الملك ليس فينا مملوك لنوح إلا أنت وأولادك فإذا قلت ذلك فنجو نحن ثم نطلب ما نفديكم به فامتثل سرك قولهم فأخذا رسل الملك سرك وأولاده إلا قليلاً منهم اختفوا وبقو مع جنك وكرنكي ثم تشتتوا شذر مذر إلى أن بلغوا أرضكم هذه هكذا سمعت من الشيخ ﷺ[1] فقال له الأمير إسكيا أجدت فجزاك الله خير جزائه فهل عندك شيء من خبر البربر فقال أجل سمعت من شيخي شمهروش رضوان الله عليه أن ملكا من ملوك فارس اسمه قرطوم بن دارم كان له على بعض عمالة غرامة وذلك في كل سنة خمسمائة جارية غير مفتضه[2] فأرسل في بعض السنين رسوله سلمان بن عاصف ألى أخذ تلك الغرامة فأخذها وجاء بالإماء الجواري إلى قرب من مدينة الملك بنحو عشرة أيام وبات بهن في موضع يقال له كرسا فلما أصبح وجدهن كلهن مفتضات فخاف سلمان من ذلك على نفسه إلى الملك يبين له ما قدره الله فأمر الملك بأن يتركهن هنالك إلا أن يلدن ففعل فلما ولدت ولدن غلمانا كالجن طبيعة إلا أن صورهن صور بني آدم فقطع الملك على عدد رجالهم أفراسًا لهم يغزون عليها ويغيرون ويأخذون له الأموال فلما مات ذلك الملك هربوا إلى أرض المغرب ودخلوا تحت رعيه كيمغ يحي بن مارس وهذا أصلهم[3] على ما ذكره لي شيخي وسيدي شمهروشي رضي الله عنه.

---

(١) المقصود بالشيخ هنا هو شمهروش.

(٢) أي جارية بكر، لم يسبق لها الزواج.

(٣) نظرًا للعداء بين دولة صنفي وأمراء المغرب، كان من الطبيعي أن يذكر محمود كعت هذه المبالغات عن أصول البربر، وقد اختلف في أصول البربر فمن المؤرخين من يعود بأصولهم لأصول عربية ويقولون إنهم من اليمن وإن جدهم يسمى بر بن قيس، ومنهم يقول إنهم عناصر إفريقية وقد أطلق عليهم الرومان كلمة البربر ومعناها الهمج، وقيل إن كلمة بربر كلمة عربية ومعناها أصحاب الكلام غير المفهوم. ولكن هم يطلقون على أنفسهم كلمة أمازيغ ومعناها الأحرار.

[أصول ملوك صنفي] [1]

وقد ذكر القاضي محمود كعت أصل ملوك سنفي هو امرأتان من اسباط جابر ابن عبد الله الأنصاري خرجتا من المدينة يومًا إلى جنانهما وأصابهما العطش وكان لإحديهما أي أكبرهما ابن صغير مراهق وذهب يطلب الماء لهما ووجد الماء وجاء به في ذلك البستان وكان أول من لقيته خالته وطلبت عليه أن يسقيها وأبى عليها إلا بعد أن يشرب أمه ومر عليها حتى وصل إلى أمه وسألته أمه فقالت هل سقيت خالتك فلانة تعني شقيقتها وقال لا وغضبت عليه وطردته مع ذلك الماء وغضب هو وطرح نفسه في الصحراء ولم يعرف له خبر وطرحت خالته نفسها في الصحراء لأجل أمه التي طردته بسببها واقتفت آثار ابن أختها وضلت عن الطريق حتى وقعت في يد النصارى وأخذوها ومكثت مع أحد حداد النصارى وولدت لذلك النصراني بنتا من الزني ثم نكحها بعد ذلك وولدت له ابنا ثم كبرت البنت المولودة في الزنى حتى زوجها أحد حداد النصارى أيضًا فولدت له أبنا فكبرا هذا الابنان وحدثت لهما أمهما حالها وسبب خروجها من المدينة وطلبها ابن أختها واطرحا أنفسها في طلب أخيهما حتى سمعا خبره في السودان فوجده في كاغ فوجدوا أن أهل كاغ ليس لهم سلطان إلا الحوت الكبير يخرج لهم في وقت الأضحية ويجلس لهم إلى وقت الزوال ثم يرجعون إلى بيوتهم فلما وصلا إلى أخيهما فقال له أخوه ابن خالته أنا أعمل لك ما تقتل به هذا الحوت فتكون ملكًا على هؤلاء القوم فعمل له دم وقتله به وكان عليهم ملكًا مهيب مطاعًا وعمل ابن أختها له وفا وكان يضربه هو جد من كان دع اسم قبيله سنى وكان الآخر أصل كل حداد من حفائد جم كريا تنبيهات الأول تذكر منه أولاد الشريف

---

(١) الأصول الصحيحة لقبائل صنفي، هي أنها قبائل أفريقية كانت تقوم بالصيد والزراعة حول حوض نهر النيجر الأوسط ولم يثبت لها أي نسب عربي. انظر مادهو بانيكار: مرجع سبق ذكره، هامش ص١١٩.

الحسنى أحمد الصقلي وذلك أن له من الأولاد محمد ومراد وسليمان ورجع محمد وسيدي إلى مدنية بغداد وبقي مزاور في بلد تنبكت ونكح امرأة من الأعراب اسمها زينب بنت وهب فولدت أبنه القاسم ومحمد الهاشمي وعلى وعبد الله ومولاي محمد وعبد الرحيم ثم ارتجل هؤلاء الشرف من تنبكت بسبب جوع خافوا منه على أنفسهم وعيالهم وحين ارتحلوا باتو الكاهى الأعراب بوس ثم ارتحلوا منها وباتوا اسكنغ ثم ارتحلوا منها وباتوا ويرى ثم ارتحلوا فلما وصلوا موضعًا يقال له عسبى تفرقوا فأخذ بعضهم ميمنه وبعضهم ميسره فأما أهل الميمنة فابن القاسم ومولاي محمد الهاشمي وعبد الرحيم فبات هؤلاء رأس العيران يقال له في كلامنا حبدبغ ثم ارتحلوا وباتو ابدود جس ثم تفرقوا وتوجه محمد الهاشمي إلى سرفلابير وأقبل ابن القاسم إلى قرية واتك ومحمد عبد الرحيم إلى توتل وأما أهل الميسرة فهم عبد الله ومولاي محمد وعلى فأما عبد الله أقبل إلى قرية واوبار وأما مولاي محمد فأقبل إلى نحو ودو أما على فتوجه إلى كرم والتبه الثاني نذكر فيه ما للشيخ العالم التقي الولي الصالح محمد تل ويسنبونه إلى بنى مداس من الكرمات والوفاء.

[علاقة محمد تل[1] بالاسكيا وعطايا الاسكيا له]

من الأمير أسكيا وذلك أنه ما رآه ولا سمع ذكره إلا احترمه وقبل يديه الكريمتين وقال نفعنا الله ببركتك وجعل له أن يركب جمله ويسير به نهارًا واحدًا ويكون كل ما وجد في تلك المسافة من ثلاث قبائل جم ول وجم تن وسر بني ملكا له أي للشيخ محمد تل ومن ليس من هؤلاء فيكون حوزًا له ومبدأ تلك المسافة حركسن[2] كيفر وقتهاه إلى دور كسر وأما القرى المصهرات[3] بهذه القبائل في هذه المسافة فيمون إلى كاي وما بينهما من بلد أوس وكرم تنيف على سبعين قرية والتنيه الثالث نزكر فيه ما لشيخنا العالم الورع الزاهد الولي المتفنن الفع صالح جور عند الأمير اسكيا من الإكرام والعطاء وذلك أن الأمير إذا رآه لا يصغي إلى كلام أحد سواه ولا يفرح لأحد كما يفرح له ومما ملكه من القبائل المملوكين حداد انكا وقبيلة فالن وسرى وبنكن وتمبا وحردان وبل واصل هؤلاء من سرك تتمة.

[أخبار منسا موسى]

ولنذكر بعض ما أمكن لنا من أخبار ملكى[4] كنك موسى وكان ملكي سلطانا صالحًا تقيًا عابدًا ملك من منتهى مل إلى سبروك وأطاعه جميع من فيها من سفي

---

(١) محمد تل: تعود أصول هذا العالم إلى أصول بربرية، من فرع بني مداس من قبيلة صنهاجة، وكان الإسكيا محمد يحبه بسبب وقوفه بجوار الاسكيا محمد ضد سن بار. انظر مادهو بانيكار، مرجع سبق ذكره، ص٥٠٥.

(٢) أسماء مناطق إفريقية، لم تذكر كتب الرحالة عنها شيئًا.

(٣) المصهرات: أي التي تجمع بينها وبين تلك القبائل علاقة نسب ومصاهرة.

(٤) يلاحظ أن من ألقاب منسا موسى ملك ولم يقل خليفة، على اعتبار أن إسكيا محمد هو أول خليفة في بلاد السودان.

وغيرها ومن علامه صلاحه أنه كان يعتق كل يوم نفسًا وحج إلى بيت الله الحرام وبنى في حجه مسجد جامع تنبكت[1] ودكر وخندم ودبرى دونك وبك وكنك عجميه. وقيل أنها عربية الأصل ولحجه سبب حكاه لى الطالب الحافظ لقصائص الأوائل وهو محمد قم رحمه الله. ذكر أن ملكي كنكي موسى هذا الذي قتل أمه نانا كنك خطأ وأسف لذلك وندم وخاف عقوبة ذلك وتصدق بمال جسيم وعزم على صوم الدهر وسأل بعض علماء زمانه عما يفعل في الاستغفار لهذا الذنب العظيم فقال أرى أن تفزع إلى رسول الله ﷺ وتهرب إليه وتدخل في حرمته وتستشفع له وسيشفعه الله فيك وهذا هو الرأي وعند العزم والحزم على ذلك في يومه وقام بجمع المال والجهاز للسفر.

[رحلة حج منسا موسى]

ونادى من أرضه من كل جانب يطلب الزاد والعون وأتى بعض مشايخه يطلب منه أن يختار له يوم الخروج في الأيام فقال أرى أن تنتظر يوم السبت الذي يكون ثاني عشر شهر وأخرج فيه لا تموت حتى ترجع لدارك سالمًا إن شاء الله ومكث يتربص حصول ذلك في الشهور وينتظره ثم لم تحصل إلا بعد تسعة أشهر وافق ثاني عشرة يوم السبت وخرج بعد ما وصل رأس قافلته يتنبكت وهو بداره في مل والسبت الموافق بثاني عشر شهر كان منذ حنيئذ يتفاءل به مسافروهم ويمثل به في مسافر رجع بسوء المنقلب فيقال هذا ما خرد في دارة سبت خروج ملكي وخرج كنك موسى بقوة عظيمة ومال جسيم في جيش عرمرم وقد روى لنا

(١) نانا كنك: معناها السيدة أما كنكن اسمها. انظر هامش ٥٣، مادهو بانيكار: الإسلام والوثنية، ص ١٠٦.

بعض الطلبة من شيخنا العلامة القاضي أبى العباس[1] سيدي أحمد بن أحمد بن أند غمحمد رحمه الله ورضى الله عنه وأرضاه سأل يوم خروج الباشا على[2] بن عبد القادر إلى توات زاعما أنه يريد الحج عن عدد من مشي معه من قومه فقيل له يبلغ من معه من حملة السلاح نحو ثمانين فكبر وسبح ثم قال لم تزل الدنيا على انقصان وقد خرج كنك موسى إلى الحج ومعه ثمانماية ألاف ثم اسكي محمد خرج حاجًا ومعه ثمانمائة رجلاً عشر ذلك وجاء بعدهما على بن عبد القادر ثالثًا بثمانين عشر ثمانمائة ثم قال سبحانه لا إله إلا هو وقد لا يتم مراد على بن عبد القادر إنتهى ثم خرج كنك موسى راحلاً ذاهبًا وفي قصة سيرة أشياء أكثرها لا يصح ويأبى العقل قبول ذلك ومن ذلك ما وجدته جمعه في بلد من هنا إلى مصر إلا وبنا فيه مسجدًا يومه ويقال أن مسجد بلد كندم ودكرى من المساجد الذين بنى وأدام طعامه غداء وعشاء منذ خرج من داره إلى فعل لحم الحوت[3] الطري والسلق الرطب وحدثت أنه خرجت معه زوجته المسماه أنا ركنت مع خمسمائة نسوتها وخرجها إلى أن نزل بموضع من صحاري بين توات وتفاز وضربوا بها العطن وباتت زوجته تلك معه في فسطاطه ساهره ونام هو ثم استيقظ ووجدها ساهره لم تنم فسألها أما نمت ما لك فما أجابته فبقيت إلى نصف الليل ثم استيقظ فألقاها لذلك ساهره فأنشدها بالله عما أصابها فقالت ليست إلا وسخ بدني ودنها وقد تمنيت البحر فاغتسل وأخوض واغتمس وأعوم فهل لك تحصيل ذلك وإيجاده في ملكك ونهض كنك موسى جالسًا وغاظه ذلك وجلس متفكرًا ثم

---

(١) أبى العباس: أحمد بن محمد الفولاني، ينسب لمنطقة ماسينا، درس العلوم الشرعية وتصدى للتدريس، توفى عام ١٦٢٥م. انظر: محمد الغربي بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ج١، ص٥٢٧.

(٢) تولى الحكم بلاد الصنفي، أثناء الحكم المراكشي من عام ١٦٢٨م - ١٦٣٢م.

(٣) الحوت: المقصود به لحم السمك عند القبائل الإفريقية.

أمر بعبده الذى هو رئيس عبيده وقومه المسمى قرب ونودى واتي وحياه تحية الملك وعاده تحيتهم له أن يقلع قميصه وياتزر به ثم يركع يضرب صدره ثم يجثو على ركبتيه ولا من في مملكته يصافحه الإقاضيه وهو الملقب بانقار قم وقم قبيله ومنها يخرج قاضيهم ولا يعرفون القاضي وإنما يقال أنقار فلما فرغ قرب من تحيته فقال يا قرب منذ تزوجت بزوجتي هذه ما طلبت مني وما خاطبتني بما تقصر عنه قدرتي ولا بما ليس في ملكي ويعجز عن قدرتي ألا في هذه الليلة فقد سألتني البحر وايجادها من العدم في فقارها وبيننا وبين البحر مسيرة نصف شهر وليس لهذا موجد إلا الله وحده فقد أعجزتني الآن فقال قرب فعسى الله أن يصلحه عليك فخرج قرب باكيا يضرب صدره على موضع نزوله ونادى العبيد وحضروا أسرع من طرفة عين وعددهم ثمانية آلاف وسبعمائة هكذا قاله بابا أشرع منذ بمدينة جني وقال غيره بل تسعة آلاف كامله فأخرج لهم المديرات على جسهم ومشى ألف خطوة وأمرهم بحفره وحفروها وأخرجوا ترابها ثم حفروها حتى نزل إلى نحو ثلاث قامات ثم أمر بالرمال والأحجار حتى امتلأت الحفرة ثم أمر بحذوات الحطب فجمعوها فوقها ثم أتى بقلبات بلنفة ووضعها فوق ذلك كله ثم رمى عليها الدار ووقد واشتعل فؤاده ذلك البلنفات[1] على الأحجار والرمال وكسرهم وملست الحفرة[2] وصارت كالفخار ثم أمر بالمياه اللواتي في قرمهم وزمنهم وحلوا أفواه القرب[3] والزمون فانصبت وسالت إلى الحفرة حتى امتلأت واعلت وسمت بحيث تضطرب منها الأمواج وتلاطم كالبحر العظيم ورجع إلى كنك موسى فوجدهما جالسين وقد أيقظهما وهج تلك النار ودخانه فحيه حياة

---

(١) البلنفات: نوع من أنواع الزيوت يستخدم في غرب أفريقيا.

(٢) أشبه بطريقة صناعة الخزف الآن.

(٣) ذكر محمود كعت أن هذه الروايات لا يصدقها عقل؛ لغرابتها واستحالة تنفيذها.

ثـم قـال أيها السيد فقد أعانك الله وأذهب همك وأين أنار فلتانى فقد أقدرك الله على إيجاد البحر ببركة من تزوره رسول الله ﷺ فيها من ووافق ذلك طلوع الفجر الأعلـى مـن تلـك الليلة فقامت نسوة معها وهن خمسماية وركبت على بغلتها إلى البحر فنزلن فيها فرحات مولولات مسرورات وغسلن ثم رحلوا وغرف بعضهم من ماء الحفرة ومشى معه سلمان بن يعت وكان من خدمه يركب أمام الرفقة وورد في جـم كـثير ووردوا[١] يوما على بئر في قفار صحاريهم عطاشى ظامئين وأدلوا دلوهم في ذلك البئر ونزل على الماء فقطع حبلـه هنا لك ثم أخرى فقطع ثم أخرى فقطع فظـنوا أن هـنا لـك مـن يفعلـهـا وشمـر سلمان بن يعت على ساعده وتابط سكينه ورمـى بنفسه إلى داخل البئر وترك القوم على البئر واقفين في كرب عظيم وإذا هو بـرجل هـنالك لـص محـارب سـبقهم علـى البئـر مـراده يمنعهم الماء حتى يموتوا عطشـانا كلـهم فيخـرج ويجمـع أمـوالـهم لنفسـه ولا يظن أن حدًا يقدر أن ينزل علـيه هـنالك فقـتلـه سلمان بن يعت هنالك ثم حرك لـهم حبل الدلو وجروه فإذا هم بجنازة رجل قتلـه وجرده ورموا به إلى البئر ميتا.

[عطايا منسا موسى]

وحـدثني شـيخنا موربكـر بـن صـالح ونكـرب رحمـه الله إنه كان معه حمل أربعـين بغلـة مـن الـذهب وحج وزار قيل طلب من شيخ بلد الحرام مكة الشريفة حرسـهـا الله تعـالى أن يعطيه من أهل بيت رسول الله ﷺ الشريفين أو الثلاث أو الأ ربـع يـذهب معـه إلى بلـدة ليتبرك أهل الناحية برؤيتهم ويبركة أثر أقدامهم في بلـدهم وأبـى الشيخ لـه وأجمعوا على المنع والإباية عن ذلك تعظيمًا وإجلالاً لدمه

(١) وردوا: المقصود أرادوا الاستسقاء وهو الحصول على المياه.

الشريف لئلاً يقع واحد منهم في أيدى الكفرة ويضيع أو يضل وصم عليهم في ذلك واشتد الحاؤه فقال الشريف لأفعل ولا أمر ولا أنهي ومن شاء فليتبعك فأمره بيده فإنا برئي فأمر ملكي مناديا في الجوامع من اراد ألف مثقال بمن الذهب فليتبعني إلى أرضي فله ألف حاضر فجمع عليه أربعة رجال من قريش قيل أنهم كانوا من موالي قريش وليس من أنفس قريش وأعطاهم أربعة آلاف كل واحد منهم ألف وتبعوه بأهليهم راحلين إلى بلدة فلما رجع ملكي قائلاً ووصل إلى تنبكت جمع القوارب والسفن وحمل عيالهم وأمتعتنهم ونسوته ليوصلهن إلى أرضه حين عجزت دوابة عن الركوب فلما وصلت سفنه إلى بلدكم وفيهن شرفاؤه القادمين معه من مكة الشريفة وقع عليهم[1] جنكي وكرن ونهبوا كل ما كان في تلك السفن وانزلوا الشرفاء عندهم وخرجوا في طاعة ملكي وعلمهم أصحاب السفن بأمر الشرفاء وأخبرهم بمكانهم وأقبلوا عليهم وأكرمهم وأجلسهم بمكان هناك يسمى شنشن قيل أن شرفاء بلد كى أوكى منهم أنتهى قصة سفر حج ملكي كنك موسى وجنكي من اصغر عبيد ملكي وارذل خدمه وحسبك أنه لايقف إلا على زوجته أى زوجة ملكي ولها يعطي غرامه إقليم جني ولا يراه ملكي فسبحان من يعز ويزل ويرفع ويخفض تنبيه أن قيل ما الفرق بين ولنكي وولكر فأعلم أن ونكر وملنكى من أصل واحد إلا أن قيل ما الفرق بين ولنكي وولكر فأعلم أن ونكر وملنكي من اصل واحد إلا أن ملنكر هو الجندى منهم وونكر من يجر ويسعى من إفق إلى افق.

---

(١) أغار عليهم.

[ذكر إقليم مالي]

وأما مل[1] فإقليم واسع وأرض كبيرة عظيمة مشتملة على المدن والقرى، ويد سلطان مل مبسوطة على الكل بالقهر والغلبة وكنا نسمع من أعوام عصرنا يقولون سلاطين الدنيا أربعة ما خلا السلطان الأعظم سلطان بغداد وسلطان مصر وسلطان برن[2] وسلطان مل وبلده التى كانت فيه دار الإمارة لملكي إسمها جارب وأخرى تسمي ينبع ولا يسقى أهليها إلا على بحر كل وعليه يردون على مسافة العدى يخرجون إليه بكرة اليوم ويرجعون وقت العصر من يومه وعليه يغسلون ثيابهم وهكذا حدثني به أخونا الحافظ محمد قم فقال فصار اليوم مسيرة يومين وانظر هكذا الأمر وتعجب هل نقص من النهار شيء أو زيد في مسافة تلك المكان أو ضعف حال خطوات الناس وقوتهم فسبحان من يفعل ما يشاء وقد أذكرنى هذه القصة قصة ما حكاه صاحب خريدة العجائب في قصة جبل سرنديب هو جبل بأعلى الصين في بحر الهند وهو الجبل الذى اهبط عليه آدم عليه السلام وعليه اثر قدمه غائص في الصخر طوله سبعون شبرًا وأن آدم خطأ من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة وهو مسيرة يومين فسبحان من باين بين خلقه خلقًا وخلقًا قيل أن مل مشتمل على نحو أربعمائة مدن وأرضها كثيرة الخير ليس في مملكة سلاطين الدنيا غير الشام أحسن منها وأهلها ذو ثروة ورفاهة عيش وحسبك بمعدن الذهب[3] في أرضه وشجره كور الذي لا يوجد مثلها في الأرضين في التكرور إلا أرض برك ويد سلطانتها مبسوطة من بيت إلى فنكاس وكياك إلى سنقل

(١) مل: من الأسماء التي أطلقت على مالي، ومنها أيضًا مليل وبلاد التكرور.

(٢) برن: المقصود بها إمبراطورية البرنو الإسلامية، وهى إمبراطورية ظهرت حول حوض بحيرة تشاد.

(٣) كانت تتداول روايات أن الذهب يخرج من شجر أشبه بالنخيل، وينمو في الربيع في الصحراء ويسمونه التبر. انظر هامش ٤٩، مادهو بانيكار: الإسلام والوثنية، ص١٠٤.

وفـوت وزارد عـربها في زمـانهم الأول ولا يتولـي ملك كياك إلا عبيده وامراءه ولا ينصلـه إلا وبعت ثم بعد ذلك رجع وقتلوا أميره وخالفوا عليه وتسلطن فيها أولاد جـاور وتلقبوا كياك وقويت دولتهم وعظمت ملكهم وقهروا أهل تلك الجهة وقاموا بالمحاربـة وعظـم جيشـه وكثـر حتـى كـان يخرج على القتال في نيف وألفين من الخـيل وكـان بـأرض كـياك مديـنة عظـيمة قديمـة سبقت زار بناء وإماره واسمها سـائن دنـب بسـين مهملـة مفتوحة بألف مكسورة بعد همزة مكسورة فنون ساكنه وكـان بلـد الجـا فـناوين الـذين يقال لـهم جافتك وهى موجودة من زمن كيمع ثم خـربت عـند انقـراض دولـة كـيمع في أيـام فتنتهم وبعد خرابته بنيت زار ورحل بعضـهم إلى كسـات وهم المسمون بكس وبعضهم إلى زار وهم قد غلب عليهم كياك فـرن وسـلب ملكهـم وعلـى جمـيع عربها على فطط وتشت وتكنكع وارذل الناس وأصـفرهم عـندهم هـو فلـث يغلـب رجل واحد منهم عشرة من الفلاتيين وأكثر ما يأخذون من طاعتهم من الغرامة الخيل إلا أن ملوكهم ليس عليهم هيبة الملوك ولا يجلسـون في زى الملـوك ولا يخـرجون في زينتهم ولا يلبسون العمامه ولا يجلسون علـى الفـرش إنمـا هـو في الفلاتـين وربمـا ويجلـس بـين أصحابه مختلطاً بهم ولا يعـرف مـن بينهم ولا يملك مع كثرة خيول جيشه إلا فرسا واحدًا أياعاده جارية فهم مع قوة سلطنته ولا يخرج من بينه إلى زيارة أحد ولا يخرج من بينه إلا على الجهـاد فقـط ولا يـدخل المسجد إلا لصلاة العيد لا غير وكانوا يقولون كفى الملك زيـنة ملكـه وسـلطنته ولا يحتاج إلى الزينة بعد ذلك ومر كرمن فار على كياك إلى تنيـبض ملـك فون وخلفه كياك فرن وتحير وظنه بانيه وبعث إليه الـهدايا يطلب رضـاه قبل أن كياك قرن وقع بينه وبين تنيض ملك فوت أمور وخصومه وتشاجر وحلـف بـأن يكسـر بلـده ويصـيره صـحراء وكـان أقـوى مـنه قـوة وخيلاً ورجالاً فاسـتفاث لـذلك بكـنفار عمـر ولذلك خرج إليه وهذا أول ما سمعنا من القصة. ثم

أخبرني بعض العارفين بسيرهم أن سبب خروج كرمن فار عمر إليه أن أحد الزغرانيين من أهل سوى كان يخرج كل سنة إلى فوت ويتجر فيها وسمع به تنبض وأخذ ماله ظلمًا وجورًا وأراد قتله وهرب إلى كرمن فار[1] عمر وسعى به غليه ونم عليه عنده وقال إنه يشتم كرمن فار عمر ووقع فيه وأغضبه ولذلك خرج إليه وقد بلغ أهل سوى في الحرب وعلم القتال والشجاعة والنجدة ومعرفة المكيدة غاية ونهاية انظر كيف خرج كرمن فار بهذا الحجم العرمرم الكثيف وقطع بها هذه المغازة البعيدة إلى قتال تنيض ملك فوت مسيرة نيف وشهرين من تندرمه إلى فوت وكيف ظفر فيهم وتمكن من ملكهم وقتله وغنم فيهم الأموال الجسيمة وكان ذلك في عام الثامن عشر بعد تسعمائة وأم سلطنة مل ما إستقامت إلا بعد أنقراض دولة كيمع سلطان المغرب كله بلا استثناء وأكان ما منه وسلطان مل من عبيده وخدمه ووزرانه وكيمع بكاف فياء وميم وعين مفتوحات معناه في لغة وعكرى ملك الذهب كيهو الذهب ومع الملك وهو سلطان عظيم وأخبرني بعض المواثقين عن الفقيه قاضي ماسنة النع ايد المسنى أن كيمع من الملوك الأوائل وقد مضى منهم عشرون ملكًا قبل ظهور رسول الله ﷺ واسم بلدة قنب. قنب مدينة عظيمة وكان انقراض دولتهم في القرن الأول من الهجرة النبوية وحدثني بعض السلف أن آخرهم كنسعي بكاف مفتوحه فنون مكسورة وسين مهملة وعين مفتوحه قبل ياء ساكنه وهو الملك في زمن رسول الله ﷺ وله بلد إسمه كرنكع وهو مسكن امه وهي الآن باقية عامرة ويقال أن له الف خيل مربوطون في داره.

عادة معروفة أن مات واحد منهم في صبح جئ بآخر مكانه عوضه قبل المساء وفي الليل كذلك ولا ينام واحد منهم إلا على زريبة ولا يربط إلا بحرير في عنقه

(١) كرمن فار: معناه حاكم كرمن وهو من أكبر أقاليم سلطنة صنغى.

وفي رجلــه ولكل منهم انيه من النحاس يبول فيها لا يقطر من بولـه على الأرض قطـرة إلا في الإنـاء لا في لـيل ولا في نهـار ولا تـرى زبلا واحدًا تحت واحد منهم ولكـل مـنهم مـن الخدم ثلاثة أنفس يجلسون تحته واحد منهم يقوم بعلفه وواحد مـنهم يسـقيه وواحـد مـنهم موكل على رصد بولـه وحمل زبلـه هكذا أخبرني به الشيخ محمد تكاد بن مور محمد بن عبد الكريم فوفن رحمه الله.

وكـان أى كـيمع يخـرج بعـد عشـاء كـل ليلـه يمر معه قومه ولا يخرج حتى يجمـع علـيه ألـف حزمه ويجمعوها في باب دار مملكته ويوقد تحته نار ويشتعل مـرة واحـدة ويضـئ لـه ما بين السماء والأرض ويشرق البلد كلـه ثم يأتي ويجلس علـى منصـة الذهب الأحمر وسمعت بعض من حدثني بالقصة وقال ألف شقة من الكـتان لا ألـف حـزمة مـن الحطـب ثـم أن جلـس بأمـر بعشـرة آلاف من الموائد ويأكلـون وهـو لا يأكـل فمتـى تـم الأكـل يقـوم ويـدخل ولا يقومـون حتـى تصير الخـرمات رمـادًا ثـم يقومـون وهـذا على الدوام ثم أفنى الله ملكهم وسلط أرذالـهم علـى كـبرائهم مـن قومهم واشاملـهم وقتلوا جميع أولاد ملوكهم حتى بقروا بطون نسـائهم ويخـرجوا الجـنين ويقـتلـهم وإخـتلف أي قبيلـه هم كانوا منها قيل من وعكـرى وقـيل مـن ونكـر وهـو ضـعيف لايصـح وقيل من الصنهاجة[1] وهو أقرب عـندى لأنهـم يقولـون في نسـبهم أسكع صوب بهمزة مفتوحة فسين مهملة ساكنه فكـاف مضـمومه فعين مضمومة وهو حم في اصطلاح سودان لقبا والأصح أنه ليسوا مـن السـودانيين والله أعلـم وقـد يعد زمانهم ومكانهم علينا ولايتأتي لمؤرخ في هذا الـيوم إن ياتـى بصـحة شـيء مـن أمورهم يقطع بها ولم يتقدم لـهم تاريخ فيعتمد علـيه وقـد آن أن نـرجع إلى المقصـود من ذكر تراجم الأساكي فقد اطنبنا في هؤلاء

(١) الصـنهاجة: إحـدى قبائل البربر الكبرى، كانت تقطن الصحراء الكبرى، ومن أشهر فروعها لمتونه. ويعرفون بالملثمين. انظر الحسن بين الوزان. وصف إفريقيا، ص٤٥.

وسلكنا سلكا لم تقصده مما ليس له طائل ويكاد أن يكون أكثرهم أكاذيب ونستغفره تعالى سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

[ذكر الأساكي]

ثم بعد شي بار ول ينب ثم يني مادعو ثم شي محمد كوكيا ثم شي محمد فار ثم شي بلم ثم شي سلمان دام وفي بعض الروايات داند هو اسمه وهو جد أهل بلدا رحم وهو الذي غلب أهل ارض جيم وكسرهم وأفسد ملكهم وكانوا قبل ذلك في ملك عظيم وقوة قاهرة خرجوا عن سلطان مل وكان في جيم اثنا عشر ملكًا ورأسهم جيم قن ومنهم أي من أمرائهم تكفرسوم وهو الذي يقف عليه سلطان ماسن ويأخذ التراب[1] له ويبايعه ويقلع له قميصه ويتازر به قدامه وأثر مدينته هنا لك مخروبه واسم ذلك الملك إلى الآن باق ذليل يمشي على رجله بلا دابة وقد زال ملكه وبقي اسمه فسبحان الملك الدائن ويزوره سلطان ماسن إلى الآن يزعم أنه يتبرك به ويطلب دعاءه وإذنه وينزل عن دابته لتحيته تعظيمًا له ويلقى به في موضع بلده الخربه.

ثم خلف سلمن دام الظالم الفاجر الملعون المسلط شي[2] عال وهو آخرهم ملكًا الذي سارت الرفاق يقبح سيره وكان منصورًا وما قابل أرضًا قصده إلا خربه وما كسر له جيش كان فيه قط غالبًا غير مغلوب لم يترك بلدًا ولا مدينة ولا قرية من أرض كنت إلى شبردك إلا وقد جرى خيله فيه وحارب أهله وغار عليهم ومعنى

(١) أي يقدم له التحية على الطريق السودانية بتعفير الوجه بالتراب.

(٢) معنى لقب شي: النائب عن السلطان.

شـي كـي يتـند خلـيفة السـلطان أو بدلـه أو عوضه وهو سلطان جبار قاس القلب بأمـر بالقـاء الطفـل في المهـراس وبأمـر أمـه أن تدقـه وتدقه الأم وهو حى ويطعمه للخيول وكان فاجرًا فاسقًا وسئل بعض شيوخ عصره من أهل موركير هل هو مسلم أو كافـر بان أفعالـه أفعال الكفرة وهو ينطق بكلمتي الشهادة ومن لـه قوة في العلم وانظـر في أفعالـه كفرة بقتل الفقهاء وكم من قرى هدمها وقتل أهاليه بالنار يعذب الـناس بأنـواع العـذاب وتـارة يحـرق بالـنار ويقـتل به وتارة يبنى بيتًا على حي ويمـوت تحـته وتارة يبقر بطن امرأة حبلى ويخرج جنينها وفيه من يسئ الأعمال وسـوء الـرعاية ما لا يسمع هذا المجموع حصر بعضه ولي سلطنه صفي سنة تسع وتسـعين مـن القـرن التاسع ومكث فيها سبع وعشرين سنة وأربعة أشهر وخمسة عشـر يـومًا وهـى سـنة سـبعة وتسـعين وثمانمائـة هكذا نقلته من درر الحسان في أخـبار بعض ملوك السودان تأليف باب كور بن الحاج محمد ابن الحاج[1] الأمين كانوا وما لـه من الأعداء عدد مسخوط عليه يبلغ عنده فلن وكل من راه بعينه من الفلانـيين إلا قـتلـه لا عـالم ولا جاهـل لا رجـال ولا نساء لا يقبل للعالم منهم لا صـرف ولا عـدل قـتل قبـيلة نسـقر حتـى ما أبقى منهم إلا طائفة يسيره اجتمعوا كلـــهم في ظـل شـجره واحـدة ووسـعهم كلـــهم وكـان يأخذ بعض أحرار المسلمين ويعطـيهم لبعضــهم ويزعم أنه يتصدق بهم عليهم وكان أهل زمانه وجنوده يلقبونه بـدال وبـه يعظمـونه ومـا نادى أحدًا منهم إلا أجابه دال وهو بدال مهملـه وألف ممـدده ولام مكسـورة وجـدتني بعـض أصـحابنا وهـو محمد وانكر بن عبد الله بن سـنجوك الفلانـي رحمـه الله أنـه سمـع القاضـي أبـا العـباس سـيد أحمد بن آند

(١) محمـد بـن الحـاج الأمـين: من بلدة كانوا وكان من مؤرخي بلاط الإسكيا، له كتاب دور الحسان في أخـبار بعـض ملـوك السـودان، وقد أفلت من مذبحة العلماء التى تمت في عهد الغزو المراكشي. انظر مادهو بانيكاد: الإسلام والوثنية، ص٥٠٧.

غمحمد رحمه الله يقول أنه لا يجوز أن يلقب أحد به لأن معناه تعالى وهى تختص برب العزة وهو الله تعالى وكذلك دوانت وهو بدال مهملة وواو ممدوده فنون ساكنة فتاء مفتوحة وبعضهم يقول دورنت بالراء فهو خطأ قال معناه عبد المولى وأعني بالمولي ينبي لعنه الله عليه ودال هذا لا يقالها اليوم إلا لقوم وجن كي وينبغي أن يتنبه أهل الورع والطلبة عن ذلك وكان شي هذا فرغ أيامه في الغزوات وكان منار سلطنته في كوكيا وفي كاع وفي كبرودار يقال له تل وفي ورع في أرض درم يجاوز بلد إنكب ويقال بلد جنجو ولا يستقر في أحد منها وكان من تقدمه من شين يسكنون في كوكبا إلا شي عال هذا الناجر هو في الغزوات أبدا وخرج في أوائل سلطنته إلى بلد دير وسمع بخبر سلطان موشى[1] المسمى كمداع وارتحل من دير والتقيا في كب وهزم جيشه وتبعه إلى بنبر ونجا بنفسه حتى دخل في بلده في درا مملكته المسمى ارقم تم رجع شي على ومعه تنبكت كي محمد نض واسكي محمد واخوه كرمن فار عمر ومحمد نضى سلطان تنبكت وفرن امنبت وأبو بكر وفرن عثمان في ذلك الغزو وطلع على شي على شهر رمضان في بنبر وصلى العيد في كشتع ورجع إلى كونع وخرج في كونع إلى بسم وقتل بسم ومضى إلى تمسع وطلع عليه شهر رمضان في تمسع وصلى فيها العيد ثم دخل في أثر بيدان حتى انتهى إلى داع وقتل صودب مار هناك ثم خرج من هنالك إلى فكر ثم خرج من فكر ورجع إلى لمسع وطلع عليه شهر رمضان في تمسع وصلى العيد فيها وأخذ المختار في بلدب ككر وقاتل أهل تند ثم رجع إلى سور ينشبع ثم مضى ورجع إلى كاع وفي اسم كاع لغتان كاع وكوكو وطلع عليه شهر رمضان وصلى العيد فيه ثم أخرج اسكى بفن وأرسله إلى تسك ونظر اسم اسكي في وقت شي وزمنه وهو بخلاف ما عليه جل الناس بأن اسكي محمد هو أول من لقب به وتسمى

(١) الموشى: اسم لقبائل وثنية، كانت في صراع دائم مع سلطنة صنفي.

بـذلك حتـى ذكـروا سبب تسميته وتلقبه وبذلك نزكر ذلك قريبًا في ترجمة اسكيا محمـد وهـذا غـريب جـدًا وهـزم تسـك جيش اسكي بفن ومحلـه شي عال في بلد منصور وطلع عليه شهر رمضان في منصور وصلى العيد في كوكيا ثم كر راجعًا على كـاغ وخـرج بجيشـه إلى ازون وقت غزوته ومات اسكي بفن وارتحل شي عال إلى تـك وطلـع علـيه شـهر رمضـان في بلـد تفسـر مـن بلاد موش وصلى العيد فيه ثم ارتحـل إلى بحر لوك وجمع جيشًا كثيفًا واخرج دندفار[1] اقنب وجعلـه أمير ذلك الجـيش كلــهم وفي الجـيش هيكـي بكر انظر أيضًا اسم هيكي في دولته وهو أيضًا بخلاف ما يقولـها أهل سنفى بأنه لم ينشا إلا في زمن أسكيا محمد وذكروا سبب تلقـيب هيكـي بـذلك وسنذكر ذلك في ترجمة اسكى محمد وفي هذا الجيش اسكي محمـد وهو ملقب يومئذ بتندفرم وفيه اخوه عمر كمزاع وهو يوقتد كيل فرم وفارن عـثمان وارسـلـهم إلى قصاص محمد كيرو في كنكي ورجع تبى إلى كاع ولم يجلس فـيه ومضـى إلى بركـي مديـنة الـتي فـيها دار مملكة موشكي ودمرها وأسر أهلـها وقـتلـهم شـر قتلـه ثم خرج إلى مل وهربوا ولم يدركهم ورجع وجـهز جيشًا عظيمًا وجعـل هيكـي بعـث أمـير الجـيش إلى قتل تنك يعمع وقتلوه ورجع الجيش إليه وارتحـل بهم إلى ككر واخذ منذ كنت في ككر ثم جـهز جيشًا وأرسل دندفار افنب إلى قـتل بـيدان في بلـد نـوم ومضـى فـارن افنب إلى دند لأمر أرسلـه شي عال به ورجع فندوتك بالجيش إلى تي عال ثم خرج شي عال وطلع عليه شهر رمضان في داغ وصلى العيد هناك ثم مضى ورجع إلى جني[2] وقدم عليه منذ دنك مع الجيش والتقـى بـه في بلـد جني وطلع عليه شهر رمضان في جني وصلى العيد فيه وقاتل

---

(١) دندفار: حاكم إقليم دند.

(٢) جـني: مديـنة تأسـسـت في القرن الثاني الميلادي على النيجر الأعلى عام ٤٢٥هـ/١٠٤٣-١٠٤٤م، وتم انتشار الإسلام فيها بعد إسلام كنبروا ملك جني عام ١٢٠٠م. انظر حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما وراء الصحراء. ص١٤٦.

أهـل جـني وقاتـل أهل مل مرتين ثم مضى وحمل الفلانيين إلى كوكو وطلع عليه رمضـان في جاكـوا وصـلى العيد في كنو ثم طلع عليه رمضان في كذب وصلى العيد فـيه ثـم طلع عليه رمضان في جرك وصلى العيد في منت ثم رجع إلى البحر وطلع في رمضـان في مـل وصـلى العيد في يعتل ومضى ورجع إلى كاع وطلع عليه رمضان فـيه وصلى العيد ثم ارتحل من كاع في يومين من شوال ومضى إلى تند وقاتل أهل تـند ونـزل في دو مكـث هـنالك شـهرًا فيه سمع بمرور موشكي إلى بير وترك أهل بيـته في ديـر ودخل في أثر موشكي وجاء إلى سبيل وقتلى سيلكى ومضى إلى كنتع وطلـع علـيه شـهر رمضـان في كنـتع وصلى العيد في سام وارتحل موشكي إلى سام ووجـد شـي حمـل أهـل بيته ومالـه ومضى موشكى في أثر شي عال ولحقه وطلع علـى جيشـه وخاف وكر راجعًا هاربًا على عقبه ونقلت هذا كلـه من كتاب الجد الفـع محمـود[1] بن الحاج المتوكل بخط بعض طلبته ن قولـه وارتحل شي عال في ديـبر والتقـيا في كـب وفي سـنة ثلاث وسبعين نكير مدينة تنبكت ودخل فيها في الـيوم الـرابع مـن رجـب وفي تلـك السـنة خرج الفقيه العلامة شيخ الإسلام محي الـدين القاضـي أبـو الثـناء محمـود بـن عمـر بـن محمـد أفنيت من بير ورجع إلى تنبكت رحمه الله.

فـأعلم أن شي واسكي محمود ومور هوكار جد أهل موركير وفقائها كلـهم من أصـل واحد وجميع من يلقب بمى كيدع ومنيك وميهو قيلع وميفر وقياس ومينفي وهيـيور ويـزع واسم بلدهم برا وكان من كان في هذا الإقليم أصلـهم من المغرب من وعكـري دونكر وكنت أسال كل من رايته من أهل كعك وبت ومل وجعفر وكذلك هل كان عندكم في أرضكم قبيلـه ميكع وميننك فيقول ما سمعناه ولم نره وكان هذا

(١) كما ذكرنا في البداية أن الكتاب أكمله حفدة محمود كعت.

ألفاجر يعني شي عال ملكًا مطاعًا مهيبًا خافه رعيبته لشره أرسل رسوله إلى تنبكت وهو في بلد جن يحاصرهم واتاه بأن أهل تنبكت يهربون ويرجع أهل بير إلى بير وبعضهم إلى فطط وتيشت ويرجع كل قوم هاربين إلى أرض أصله وأمر ورسوله أي وقت وصل إلى تنبكت أن ينادى صارخا بهم أن السلطان شي قال من كان في طاعته فلا يبتين هذه الليلة إلا في هوكر وراء البحر ومن تخلف فليذبحه فجاءه الرسول وقت الزوال وضرب الطبل الذي أتى به واجتمع عليه الناس فقال أن السلطان يأمركم بأن ترحلوا أجمعين إلى هوكى راجلين وأخرج سيفا في كمه فقال هذا سيفه فقال من بات في البلد هذه الليلة فاذبحه بسيفي هذا قال الراوي عن شيخه محمد باب بن يوسف فما كان إلا كلمح البصر حتى رحلوا بأجمعهم ومنهم من لم يحمل عشاء ليلته وبعضهم لم يأخذ فراشا ومنهم ما وله خيل في داره تركه توهما منه أن ربط السرج أمره بطول وبات أكثر ضعفائهم ومشايخهم في أربر وبعضهم في جنتع وقطع قوم البحرلان يبات في ضفته ووصل بعضهم وما وصل وقت المغرب حتى خلت تنبكت من كل واحد وخرج قوم وما قفلوا باب بيوتهم ولم يبق إلا المرضى لم يجدوا حاملاً والعمي لا فائد لهم حسبك هذا من شره وإن من أشر الناس من أتقاه الناس لشره وهذا عندى كاد أن يكون غير ممكن ولا أحسب الحجاج بن يوسف مع سفاكه للدماء وشره بالناس أن يتأتى له مثل هذا في مثل تنبكت ونفوذ امره وحين خرج قاصدًا لمحاربة جن ووصل قرية هنالك يقال لها شطي بشين معجمة مكسورة بعده ياء ممدودة بعده طاء مفتوحة فياء ساكنه وسمع به كرن أنه يريد جنكي قال كرت هذا عار على ياتي سلطان من أرضه لقتال سيدنا ويمر عليها ولا ندفعه ونهض قائمًا وجمع جيشًا عرمرمًا وتلقى بشي ووقع عليه ليلاً وأجابه شي وتناضلا شدة النضال إلى طلوع الشمس وافنوا جيش كرن وكسرهم وفروا هاربين إلى الحجر منه ثم وصل

كثرة وفعل به ما فعل بصاحبيه وبات سريًا وجنكي على سرير ملكه مع هذا كله نائمًا كأنه لا يبالي ثم خرج جنكي بمن لا يحص ولا يعد كثرة وتحاربًا وتقاتلا سته أشهر يتضاربون نهارًا ثم رجع حنكي وهو كثير على الأصح وبات يبنى سوره ليلاً فما اصبح حتى فاض البحر وأحاط بالبلد وحال الماء بينهما وحصرهم شي باربعماية سفن لئلا يخرج خارج ولا يدخل داخل ثم ما فارقهم إلا أن قهرهم وملكهم ودخل في سورهم ونزل في وسط دار جنكي واراد أن يسكن فيها فما أخرجه منها إلا الأفاعي والحيات والعقارب وخرج لذلك ونزل بدار كانت عن يمين دار جنكي في قبله الجامع الكبير وحازها وانزل فيها فتياته وأمتعته بعد رجوعه ثم ملكها اسكى محمد وقد رأيت جدرانها بعد خرابها ومتى اشتد ضرر شي على المسلمين وأحاط بالدنيا والدين باسه وامتلأت الصدور بحمل حزنه وهمه يئس الناس من الفرج في أمره وقنطوا لطول دولته وظنوا أنها لا تفنى ولا تنتهي ووقع على رجل فقير صالح وغصب بنته وأتاه ذلك بيته وإشتكى وحلف إن لم يخرج أمامه إلا أن يأمر باحتراقه بالنار وخرج باكيا ورفع يده إلى السماء واستقبل القبلة وقال اللهم يا رب أسالك يا قريب إنك ترى وتعلم وتسمع وأنت القاهر أن سلط هذا ألفاجر ألفاسق الذي طال إمهالك عليه وغره استدراجك به على رجل صالح تستجيب دعوته وتغيثه أن استغاث بك فاتاه في ذلك اليوم رجلان صالحان من اولاد مور هو كار جدًا هل موركير اسم أحدهما مور الصادق والآخر مورجب يشتكيان من ضر نزل بهما في قبيلة أي من شى المذكور فلما أبصرهما أمر بهما فقبضا وثقفا بالحديد وأمر بهما إلى جزيرة ورموهما فيها فقال أحدهما اللهم ارحمنا منه وأهلكه قبل أن يقوم من مقامه وقال الآخر ويكون موته على غير الإسلام بل على الكفر وشى حينئذ في بلد يقال له قن من بلد الحجر فمات في يومه وأهلكه موت الفجاه فلما تحقق جنده بموته دفنوه في مكانه ولم يشع أحد

بموضع قبره لعنه الله عليه وارتحل الجند في غده وماعلم أحد بموته من أهل ذلك البلد وأتى قوم من أهل جيشه إلى مور الصادق ومور جيب في تلك الجزيرة وأخرجوا القيود في أرجلهم وأخرجوهم من الجزيرة في غدة منجيات المفرج عن كل مهمو المنفس عن كل محزون الذي جعل خزائنه بين الكاف والنون إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول كن فيكون هلك الأمير وفك الأسير وكان موته في شهر المحرم افتتاح سنة الثامن والتسعين بعد ثمانمائة من الهجرة أنتهي وفي دور الحسان في أخبار بعض ملوك السودان أن موت شي عال كان في سنة تسع وتسعين من القرن الثامن فمكث فيها سبع وعشرين سنة وأربعة أشهر وخمسة عشر يومًا وكان معه ابنه أبو بكر الملقب بشي بار في تلك الغزو وحين وصل الجيش قافلاً إلى بنكي ولوا بار مكانه في اليوم الثاني من ربيع الأخر وهذا بخلاف ما في دور الحسان فإن فيه أن توليه شي بار كانت في كراغ فانظره وسبق مولد شيخ الإسلام القاضي أبي الثناء محمود بن عمر بن محمد أقيت رحمه الله ورضى عنه وأرضاه سلطنه شي بسنة واحدة لأن مولده كما ذكر سيدنا أبو العباس أحمد بابا[1] بن أحمد بن الحاج أحمد في مصنفه كفاية المحتاج فى معرفة ما ليس في الديباج سنة ثمان وتستين وثمانمائة وممن مات في أيامه من العلماء الأعيان وأكابر التكرور الفقيه القاضي مودب قاسم جنكاس وسيدى يحيى الأندلسي التادلسي وهو ثابت النسب وهو سيدي يحيى بن عبد الرحمن ابن عبد الرحمن الثعالبي بن يحيى البكاي بن الحسن بن على بن عبد الله بن عبد الجبار ابن تميم بن هرمز بن هاشم بني قريش بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن

(١) أحمد بابا: من أشهر علماء السودان، ولد عام ٩٦٣هـ/١٥٥٦م، من أسرة علمية كبيرة في بلاد السودان الغربي، وقد اشتغل بالتدريس، وبلغت مؤلفاته ما يزيد عن الأربعين، ومن أشهرها كتاب كفاية المحتاج. انظر محمد المغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي. ص٥٣٩-٥٤٢.

أحمد بن حمد ابن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب ﷺ وتعرفنا بحرمتهم وقبل أن سيدي يحيى تولي القضاء وقفت على ذلك بخط بعض الطلبة وبقى الكلام على ذكر من مات في أيامه ثم لما ولى ابنه بار وما اتت على ولايته أربعة أشهر حتى ظهر أمر اسكي محمد بن أبى بكر.

[ذكر حروب اسكى محمد]

وأعانه الله على شي بار[1] في ليلتين من جمادى الأولى في بلد يقال له انفع ووقفوا هنالك وجمعوا أهل الغزو ثم التقيا بار واسكى محمد في اليوم الرابع والعشرون من جمادى الآخر وهو يوم الاثنين ودخل بينهما حرب شديد وقتال عظيم حتى ظن الناس أن الفناء نزل بهم ومع شى دندفار اقنب وهو من اشجع الناس رمى نفسه في البحر ومات فيه ومع اسكى محمد بركى منسى كور وليس معه أحد من سلاطين التكرور وصنفى غيره ولم يجبه أحد دعاه غيره ونصر الله اسكى محمد الحمد لله على ذلك وهرب شى بار إلى زاغ.

قال القاضي محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت ما نزل القتال بينهما قط إلا بعدما ارسل العالم الولي الصالح محمد تل الشريف شبونه إلى بني ..اس إلى شى بار يدعوه إلى الإسلام وهو يومئذ ببلد تسمى انفع وابى وامتنع وصن بما ملكه عما كان ذلك من عادة الملوك وأغلظ لذلك العالم الكلام وارتكب منه أمرًا عظيمًا حتى هم بقتله وصده الله عن ذلك بقهره وغلبته ورجع إلى إسكى محمد وبلغه الخبر من ابايه[2] شي بار وما فعل به وبعد ذلك أرسل اسكى محمد العالم الصالح

(١) ابن منسى على، تولى بعد وفاة أبيه.

(٢) إباية: امتناع.

التقى ذا المناقب والكرامات الوعكري الأصل ألفا صالح جور إلى شي بار أيضًا ثانيًا وآتاه وبلغه رسالة أمير اسكى محمد فما إذداد إلاعتوا وإباية وامتناعا وتكبرا وأتى باشد من فعلته الأولى وله وزراء يومئذ تنيف على عشرة وزير فهم بركى منس موسى وهو شيخ كبير وله عشرة أولاد يومئذ كل أمير يحدثه له جيش وكلهم مع شي بار إلا منس كور وحده فإنه هرب إلى أمير اسكي محمد وباليه واما درم كى سندى وترتنكي وينكى وكركى وجن كى وغيرهم وهؤلاء المذكورون كل أمير بحدثه له جيش عرمرم وكلهم مع شي بار وحلف واحد من وزرائه وهو درم كى المذكور ليقتلن العالم الصالح جور رسول أمير اسكى وقال إن لم تقتل هذا العالم لا تقطع رسله إليك بل لا يرسل إليك رسلاً تترى ومنعه الله من ذلك وقال الصالح جور ارجع على مرسلك فإن رجع إلى بعد رسول منه فدمه في عنقك وقل لمرسلك اسكي فلنجهز للقتال بيني وبينه ما قبلت كلمة ولا أقبل ورجع العالم الصالح جور إلى الأمير وبلغه كلام شي بار ورجاله ما رأي من الإباية والامتناع عن الإسلام. ولما بلغ الصالح جور الأمير اسكي ما جمع أهل مشورته وذوى رأيه من العلماء والأكابر وأقبال جيشه وشاورهم في ما يفعل هل يقاتل شي بار أو يرسل إليه ثالثًا واتفقعوا على أن يرسل إليه رسوله ثالث يداويه ويلين له الكلام لعل الله يهديه إلى الإسلام فأرسلني إليه أي أنا الفقير المحتاج الفع[1] كعت وذهبت إليه ووجدت ببلد انفع وهى بقرب كاع وبلغته رسالة أمير المؤمنين اسكي الحاج محمد كما أمر أمير المؤمنين اسكي الحاج محمد وتلطفت له رغبة فى أن يهديه الله وأبى وتغيظ وأمر بضرب الطبل ساعتئذ وشرع فى الإستجابه ورعد وبرق أراد تخويفى وتمثلث في تعنى بقول الشاعر وانصر على أهل الصليب وعابديه اليوم أهلك ثم اجتمع جيشه فرقة ساعتئذ كالجبال وسطع الغبار حتى

(١) الفع: لقب كان يطلق على العلماء في غرب إفريقيا.

صار النهار كالليل واقبلوا على الصباح ويحلفون يسلن الدماء كالسيول ثم رجعت وبلغته الخير.

ثم تجهز أمير المؤمنين اسكى الحاج محمد وامر بضرب الطبل واستجاش جيشه عليه في ساعتئذ وكلهم بايعوه على الموت ثم ركب وتوجه بجيشه المنصور نحو شى بار فالتقى الجمعان يوم الإثنين رابع وعشرين من جمادى الآخر ومن إرسال أمير المؤمنين اسكى إلى شى بار وبين التقاء جيشهما اثنان وخمسون يومًا ودخلت بين الجيش حرب عظيمة وأعانه الله على شى بار وهزم جيشه وقتلهم قتلاً ذريعًا حتى ظن الناس أن الفناء نزل بهم وان هذا خراب الدنيا وكان مع شى بار دندفار امنت وهو من أشجع الناس رمى نفسه يومئذ في البحر ومات فيه وكان مع الحاج محمد منس كور المذكور ابن منسى موسى وليس معه من سلاطين التكرور وسغى غيره ولم يحيه أحد على دعوته إلاهو ولما هزم الله جيشه هرب بنفسه إلى أيرفبقى هنالك إلى أن توفى فتملك الأسعد الأرشد يومئذ وكان أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأورثه الله الوارث اسكى الحاج محمد المذكور جميع أرض شي بار وهى من كنت إلى سبردك ووحد في ملكه يومئذ أربعا وعشرين قبيلة أرقاء لا أحرار استرقوا وستذكر أسماء القبائل إن شاء الله ثلاثة منه من كفار قبائل بنبر الأولى نسب بجركر بكر والثانية فينتسبون تبكرتب وأما الثالثة فتسب بكم برم فورتهم شي بار في أبيه شى عال وكذلك ورثهم شى عال من شى سليمان دام وبعضهم يقول له داند وكذلك هو من شى على وكذلك هو من شي محمد فار وكذلك هو من شي محمد كوكي وكذلك ورثهم عن شي مادغ وهو الذي تقلب على ملكى وكان أصلهم تحت ملكى بعدما كانوا أجداده أقوياء وملكى من تحتهم وقواه الله مقلب ملكى وكسرهم وجمع أموال وأخذ منها أربعا وعشرين قبيلة لكن هؤلاء القبائل الثلاث من بلاد ملكى وعادتهم منذ كانوا من ملكى لا يتزوج احد

منهم إلا بعد أن أعطا أصهاره أربعين ألف ودع كراهية أن ندعى المرأة الحرية لها ولأولادها ورغبة في أن يكونوا مع أولادهم في ملك ملكي وهؤلاء القبائل الثلاثة المذكورة آنفا من اصل واحد أبوهم اسمه بيم تاسوا بباء مماله فباء مهمله فيم ففاء مفتوحتين وسين مضمومة ضمة اشمام واسم امهم أربعكلي بهمزة مفتوحة فراء مسكونه فباء وعين مفتوحتين فكاف مفتوحة فلام ممالة وهم ثلاثة رجال أشقاء فوقعت الخصومه بينهم لأجل امرأة خطبوها جميعًا وتبا عضوا وفرقوا أنسابهم وكان نسبهم كسم برو اسم قريتهم ينبع من أرض مل وهى مدينة ملكى وغرامتهم في زمن ملكى منذ كانوا ملكًا له أربعون ذراعًا للزوج وزوجته إلى أن صاروا في أيدى سيبين وغرامتهم في أرضان سمين من اولهم إلى شي عال وهو آخرهم ملكًا يجتمعون مائه انفس مخلوطين رجالاً ونساءً[1] ويكيل لهم كياله مائتى ذراع في الأرض ويجتمعون مع الدفوف والمزامير ويحرثونها له ويصبحون حال الحرث ويضربون الدفوف فإذا حضرت تلك المزارع قسمها شي بين جيشه فإذا قسمت المزارع أغرمهم وضمهم فلما ملكهم اسكى محمد جعل غرامتهم في كل عام إذا حصدوا رزوعهم يأمر رجلاً من قومه بأخذ غلاتهم فمن استطاع منهم أن يعطي عشر افتات أخذها ومن استطاع عشرين فتا أخذها وهكذا إلى ثلاثين فتا فلا يجاوزها لأنها هو الحد الذي لا يزاد فوقها ولو استطاع صاحب الغرامة ألفا وكان اسكى محمد يأخذ بعض أولادهم ويجعلهم أثمان الأفراس وأما القبيلة الرابعة من القبائل الأربع والعشرين المذكورين هى القبيلة المسماة جندكت بجيم مماله ونون مسكونة ودال مكسورة كسرة ابشمام فكاف ممالة فتاء مفتوحة ومعنى الكلمة في

(١) كان الرقيق في إمبراطورية صنغى يقسم طبقًا لتخصصات وهى: رقيق كان مخصص للزراعة، ورقيق يقوم على وعاية حب السلطان ورقيق لإمداد السلطان بالسفن والأسماك ورقيق للعمل في البت الملكى. انظر بانيكار: الإسلام والوثنية، ص٤٧٨-٤٨٠.

لغتهم قطاع الحشيش وغرامتهم زمن ملكى إلى أزمان سين قطع الحشيش للأفراس إلى أن صاروا فريد اسكى محمد وتركهم كذلك ووحدهم لا يصلحون إلا بخدمة الأفراس ولكن زادهم اسكي محمد بأن أمر كبرائهم أن يضعوا لصيانهم خدم الاغداس سفنا بخدمون بها الأفراس وكان اسكى محمد يأخذ بعض صبيانهم ويخدمهم أفراسه أين وجدهم من كاع إلى سبردك وأما القبيلة الخامسة هم الزناجيه وكل زنجي من كنت إلى سبردك كذلك يأخذ غراقهم كلما غاص البحر يأخذ مما استحق عشر حزمات من الحيتان اليابسات ومن استحق تسعا فتسع ومن استحق سبعا فسبع إلى من استحق حزمة كل بقدره لاكن لا يزيد فوق العشر وكل من أتى إليه بحاجة من حوائج السفن أخذ منهم سفينة وملاحين ويعطيه وإتخذهم اسكيا محمد واختار لخدمته وأهل بيته ما أذن لأحد أن يخدمهم ولا أن يبيعهم إلا مووا ولاده إلا الشريف الحسنى صقل بن عال فإنه قد أعطاه أولاد زنجي يسمى فرنطك كلهم وهو يومئذ ألفان وسبعمائة حين قدم هذا الشريف إلى كاع ووجد اسكى محمد هنالك ومراده من ذلك العطاء إنه من أولاد النبي ﷺ وحبه إياه وستزكر تفاصيل العطاء وتفرقة الزناجيه بين ما لهذا الشريف وبين ما لغيره في ترجمة ايسكي محمد إن شاء الله وأما القبيلة السادسة فاسسها أربي وهم عبيده وحشية وخدمة وبناتهم يخدمن زوجاته ويحرثون له وأولاده وفتيانهم يحملون السلاح قدامه وخلفه في الحرب وغيرها ويرسلهم لحوائجه الخاصة ولا حاجة لهم غير خدمته ولذلك لا غلة[1] عليهم وأما القبيلة السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة والحادي عشر فقبائل الحدادين وهم قبيلة جم نين وجم ول وهذه القبائل الخمسة يرجمون لأصل النصارى حداد هرب من جزائر البحر المحيط إلى كوكي مدينة السين في زمن شى محمد فار واسم العبد بكر وتزوج أمة

---

(١) غلة: غرامه ماليه أو جزية.

ثـان مسلم ام شى المذكور آنفا واسم الأمة مثيل فولدت لـه خمسة أولاد ذكور وهو أبـو قبيلة جم تمن ودل وهو أبو قبيلة جم ول وسربنى وهو أبو قبيلة سر بني وكم وهـو ابـو قبـيلة كـم وسمثاك وهو أبو قبيلة سمساك وإلى آبائهم نسبوا وكان أبوهم المذكـور ظلمًـا غشوما فاجرًا مسيطرًا جاهلاً جبارًا عنيدًا وصار هو وابناؤه محاربين قطـاع الطـرق ويقـتلون ويأسـرون ويغتصـبون الأموال فرفع أمرهم إلى السلطان شى فارسـل إلـيهم رهطًـا وأمـر أن يقتل الأب وأن يؤخذ ابناؤه لأنـهم عبيده وبنو امته فقـتل الأب وجن بالأبناء الخمسة وفرقهم في البلدان لئلا يجتمعوا فيظلمون وتفرع مـن كـل بشـر كـثير ـ وغـرامتهم[1] مـن زمـن شى إلى زمن اسكى محمد ماته رمح ومائـه سـهم كل عام من كل بيت وأما الثانية عشر فقبيلة كرنكى بكاف مضمومه فـراء ممالـــه إلى الضـم فـنون مسكونه فكاف مضمومه ضمة اشمام فباء مسكون من كاع إلى بلد فانى من ارضه سوم يجاور بلادها لكن ليس بقريب جدًا فإنهم تفرعوا مـن قبـيلة سمـناك ابـناء بنـته وسـنذكر مـا بقى من القبائل الأربع والعشرين وهم نصـف ما ذكر في تراجم كلام اسكى محمد عن شاء الله وهذا كلـه في العام المذكور وكـان سـن اسـكى محمـد يومئذ خمسين عامًا وسن ألفا صالح جور تسعا وأربعين عامًـا وسـن محمد تل ستا وعشرين عاما وأنا يومئذ ابن خمس وعشرين عاما وكان سن محمود بن عمر بن محمد أقيت ثمانية وعشرين عامًا.

---

(١) الغرامة هنا المقصود بها الجزية.

[ترجمة الحاج اسكيا محمد]

هذه ترجمة أمير المؤمنين وسلطان المسلمين أبى عبد الله إسكي محمد بن أبي بكر ويلقب أبوه بار لوم قبيلة من السلوى وقيل من طور وأمه كسي بنت كركي بكر ورواينا من ساق نسب أمه إلى سبط جابر عبد الله الأنصاري وفى تتبع ذلك خروج عن الغرض[1] ولـه من المناقب وحسن السياسة والرفق بالرعية والتلطف بالمساكين ما لا يحص ولا يوجد لـه مثل لا قبله ولا بعده وحب العلماء والصالحين والطلبة وكثرة الصدقات وأداء الفرض والنوافل وكان من عقلاء الناس ودهائهم والتواضع للعلماء وبذل النفوس والأموال لـهم مع القيام بمصالح المسلمين وإعانتهم على طاعة الله وعبادته وأبطل جميع ما عليه شي من البدع والمناكر والظلم وسفك الدماء وأقام الدين أتم قيام وأطلق كل من إدعى الحرية من استرقاقهم ورد كل مال غصبه شي إلى مواليهم وجدد الدين وأقام القضاة والأئمة جازاه الله في الإسلام خيرًا ونصب في تنبكت قاضيًا من كنت إلى سبردك أنه نزل في بلد كير حبن توجه على سور بنشنبع بجيشه ركب برذونا له وحمل خديمه على قلن سبعة امامة بعد صلاة المغرب ليس معه أحد غير على فلن المذكور إلى أن أتى هذا المكان الذي يصلى أهل تنبكت فيها العيد اليوم وقال لعلى فلن أتعرف دار القاضى محمود بن عمر قال بلى وقال إذهب إليه فقل له أنا هنا وحدى فلياتنى وحده فأخذ بزمام البرذون وذهب على فلن وألفا الشيخ القاضي محمود واقفًا بباب داره مع طائفة من الناس على عاداتهم وبلغ إليه على نعلن رسالة إسكيا محمد وأجابه ولم يكن إلا أن دخل بيته وأخذ هراوته ومشى معه ورد كل من أراد أن يتبعة وذهب وحده إلى أن وجد اسكى محمد وحياة وقبل يديه

(١) يقصد أنه لا يريد أن يطيل في ذكر نسب الإسكيا محمد.

الكريمتين وأخذ على قلن رمز البرذون وقاده وأمره أن ينحي عنها ففعل ثم قال له بعد التحية والسلام الثمانين أرسلت رسلي في حوائجي أو أمرت بأمري في تنبكت فلترد رسلى وتمنعه بنفاد أموري فهل ما ملك ملكى تنبكت فقال الشيخ بلي ملكه فقال أليس فيه يومئذ قاضي قال بلى فقال أنت افضل من ذلك القاضي أم هو أفضل منك قال بل هو أفضل منى واجل فقال اسكيا ألم يكن الطوارقيون[1] سلاطينا فيها فقال بلى قال أليس فيها قاضي يومئذ فقال بلى كان ذلك فقال اسكيا هل أنت أفضل من ذلك القاضي أم هو أفضل فقال الشيخ بل هو أفضل منى واجل ثم قال له أما ملك شي[2] تنبكت فقال الشيخ بلى ملكه قال أليس فيها قاضي يومئذ فقال كان فقال هو أبقى لله منك وأنت اتقى واجل منه فقال بل هو أتقى لله منى وأفضل فقاله فهل منع هؤلاء القضاة السلاطين من أن يتصرفوا في تنبكت ويفعلون فيها ما شاؤا من أمر ونهى وآخذو عطاء فقال ما منعوهم وما حالوا بينهم وبين مرادهم فقال فلم تنهانى أنت وتكف برى وتطردرسلي أن أرسلتهم لقضاء حوائجي وتضربهم وتأمر بإخراجهم في البلد مالك فذلك فما سببه فقال الشيخ رضى الله عنه هل نسيت أم تناسيت يوم جئتني في داري وأخذت برجلي وثيابي فقلت جئت أدخل في حرمتك واستودعك نفسي أن تحول بيني وبين جهنم فانصرني وإمسك بيدى حى لا أقع في جهنم وأنا وديعتك فهذا سبب طردى رسلك ورد أمرك فقال سئيت[3] ذلك والله ولكن ذكرته الأن صدقت والله جزيت خيرًا وكفيت شرًا أطال الله اقامتك بيني وبين النار وغضب الجبار فأنا استغفر الله وأتوب إليه وحتى الآن أنا وودعيتك آخذ بذيلك فأثبت في ذلك المكان

---

(١) المقصود بقبيلة الطوارق الملثمين.

(٢) المقصود بشي: سنى على

(٣) سئيت: أي لم أتذكره.

ثبتك الله وادفعن عن نفسي وقبل يد الشيخ وودع الشيخ وركب ورجع فرحًا مسرورًا داعيًا للشيخ بطول البقاء بأن يقبضه الله قبل موت الشيخ رحمه الله انظر هذا الكلام من أسكي محمد فتعلم أنه سالم الصدر مؤمن بالله ورسوله فالعجب والعجب منهما فسبحان من فرق بين قوم لله درهما فمكث اسكي محمد في السلطنة سنتين وخمسة أشهر من القرن التاسع ففي تلك السنة فتح زاغ وأخذ منها خمسمائة بناء فذهب بالأربع مائة إلى كاغ يتخذهم لنفسه واسم رئيسهم يومئذ كرفع مع آلات بنائهم وأعطاه أخاه عمر كمزاغ المائة الباقية وتولى عمر كمزاغ الكنفا روية وذلك في تلك السنة وهو أول من تسمى بهذا الاسم ولم يكن قبل ذلك بخلاف يلمع وبنكمغرم فإن اسمهما موجودان منذ زمن شى وفي هذا العام وهو عام الثاني والتسعمائة بنيت تندرمه وأمره اسكي محمد أن يبنى لنفسه مدينة فجعل يفتش في الجزائر والصحاري حتى أتى تندرم فأعجبه ذلك المكان وكان قبل مسكن قوم بنى إسرائيل[1] وأجداثهم[2] وآبارهم هنا لك إلى الآن فلما رأوا أبارهم ووجدوها يومئذ ثلاثمائة وثلاثا وثلاثين بيرًا في جوانبها ووساطها ورأوا عجيب حفرها وحالها وتعجبوا من ذلك جدًا وحدثنا بعض أعوام عصرنا من أهل مور كير هو مور صادق بن الفقيه مر بن الفقيه مور معمك بن الفقيه مور هوكار أنه قال سمع من أبيه يتحدث مع قرنه وجيله وقال أنه سمع من جده أنه قال هؤلاء الآبار التي حفرها أهل بني إسرائيل ما حفروها بسبب شي إلا أنهم أغنياء جدًا من المال ولهم مزارع من السلق[3] ويكتسبون بها يشترونها التجار

(١) عاش اليهود كجالية مميزة يعملون في تجارة العملة في بلاد السودان الغربي خصوصًا بعد ما تعرضوا له في توات. وتذكر الروايات أنهم توطنوا في هذه الأماكن منذ عهد الدولة الرومانية. لمزيد من التفصيل انظر محمد الغربي: بداية الحكم المغرب في السودان. ص٦٠٧–٦٠٨.

(٢) أجداثهم: مقابرهم.

(٣) السلق: نوع من النبات.

منهم بثمن كثير وماء تلك الآبار أصلح لسلقهم من ماء البحر ومن سقي سلقه بماء البحر لم يطلب ولم يشبه بنباته كمن سقى بالآبار وهو سبب حفرهم لها ويحفر بعضهم مقدار مائة وأربعين ذراعًا وبعضهم مقدار مائتى ذراع وبعضهم مائة إلى ستين ذراعًا وكل ما نقصت عن ستين فلا تصلح للسلق وكان بلدهم حينئذ إذا أرادوا بعضهم أن يغسلوا ثيابهم يروحون بعض الزوال ويحملون معهم عشاء ليلة ويجدون السير حتى يغرب الشمس أو تقرب إلى الغروب ثم يصلون على موضع يمكن غسل ثيابهم فيه وبين جدار بعضهم وبين الماء كعشرين خطوة وفى القرية يومئذ سبعة ملوك بنو الملوك من بني إسرائيل منهم جبروت بن هشام وذو اليمن ابن عبد الحكيم وزير من سلام وعبد اللطيف بن سليمان ومالك بن أيوب وفضل ابن مزار وغالب بن يوسف كل منهم يتبعه جيش عرمرم وكل ملك مع جنده له آبار وكل من أخطأ وسقى سلقه من آبار غير ملك يرد حسابه للملك صاحب البير سواء كان حرًا أو عبدًا وكل ملك له اثنا عشر ألفا من الخيل وأما الرجالة[1] الذين يمشون على الرجل فلا تعد ولا تحصى وأما صفه حفرهم الآبار أنهم إذا حفروا بيرا واخرجوا ترابها بنوا جوانبهم بالطين والأحجار ثم يأتوا بحزمات الحطب كشبربر ويجعلونها وسطها ثم يأتون بقلبات بلنفة فيعبونها فوقها ثم يوقدون عليها نارًا فذابت فصارت كالحديد ثم يتركونها حتى تبرد ثم يصبون عليها ماء ويخرجون بعض رماده وبعض لا تخرج وفي حفرها أتلاف الأموال الجسيم وكان سلق هذا البلد الذكور لا مثل له في أرض التكرور لأنه لم يجد أحدًا هنالك حينئذ إلا سرك واحد اسمه تند وله زوجه اسمها مرمة ولفقت اسماها وسمى البلد به وهو تند ومرم ولما رآه عمركمزاغ ما له ما تجشته وقال ما اسمك وممن أنت وأجابه اسمي تشمن لكن أولادي هؤلاء يدعو لى بتند سماعهم ذلك من فم امهم

(١) الرجالة: المشاة.

وقبيلتي زنج قنب جزيرة بين كاغ ودند وأولاده يومئذ ثمانية عشر ولدًا إحدى عشر منهم إناث وسبعة منهم ذكور وسأله عمر أيضًا هل زنج تنب أحرار أم عبيد وقال بلى عبيد الشريف مولاي أحمد في بلد مراكش[1] وقال له كم لك هنالك من السنين قال خمس وثلاثين سنة كل من نرى من أولادي ولدوا هنا إلا كبيرهم عيش تبسم وقال له هل وجدت هنا أحدًا حين تنزل فقال له ما وجدت هنا حينئذ إلا عبدًا شيخًا كبيرًا أبيض شعره حتى أحمر من بقايا قوم بني إسرائيل وكنت معه هنا ثلاث سنين ثم مات في يدي وقال له عمر هل سألته عن حاله هذا البلد فقال نعم سألته عن قوته واسم البلد واسمه واسم البلد فاسمه بعك واسم بحيرتها فت واسم سابق وقال لي أيضًا أمه جنية اعتقها سيدها ثانية بما يأكل كلما جاع وأخبرنى باشياء نسيت بعضها وكان تسم يعطى عمر ضيافة له ضيافه رطبة فمكث عمر وقومه هناك تسعة ايام يأكل من معه الحيتان حتى يشبعوا ثم شرعوا في ابتناء تلك المدينة وفتشنا عن الأحوال والأعوام فإذا ذال العام عام ثان بعد تسع مائة والبناون يومئذ مائة كامله واسم رئيسهم وهب برى وبنوا خمسا وعشرين يومًا ما آنى عمر رسول أخيه اسكي محمد قبل إتمام سور داره فأمره بالمجيء إليه وامر اسكي محمد بلمع[2] محمد كرى وبنكفرم عن كندا نكنكي أن ياتيا منذرم ويتمان بناء سور داره والذي يتولى تلك البناء أرميز واخاه باركي بكر الزغراني ابني دتدفار ورحل كنفار أخاه على كاغ واستخلفه مكانه ثم جعل اسكي محمد يتجهز للحج وزيارة بيت الله الحرام وقبره ﷺ وقبور أصحابه رضى الله عنهم وقام بجمع المال والجهاز لسفر ونادى من أرضه من كل طانب ويطلب

---

(١) مولاي أحمد: المقصود به أحمد المنصور الذهبي. حاكم دولة الأشراف السعديين الذى انتصر على البرتغاليين في موقعة وادي المخازن سنة ١٥٧٨م.

(٢) بلمع: من ألقاب سلطنة صنغي ومعناه أمين السلطنة.

الزاد والعون ومشى إلى الحج في شهر الصفر بعد ما حصل له ثلاثمائة ألف ذهبًا الذي أخذه من الخطيب الطيب عمر من مال شي عال الذي تحت يده وأما الذي في داره في الحفرة والتابوت فكثير ومعه ثمانمائة رجل من الجندي فهم ابنه اسكى موسى وهك كرى على فلان وياي كنت وكار وأقيال كرى مع بركي منس كور بن موسى الذي أمره اسكي محمد على أرض فرحين نصره الله على شي بار ومعه أيضًا سبعة من فقهاء بلده منهم ألفا صالح جور ومور محمد هوكار وهو يومئذ شيخ كبير وألفا محمد تل وكاع زكريا المنسوب بسنعة ومور محمد المنسوب بتنك. والقاضي محمود يندبع وأنا معه أي محمود كعت وفي قصة سيرة عجائب أنه تبين لنا فضله وفضل الفقيهين ألفا صالح جور وألفا محمد تل وهو أنه مشى مع رفقته حتى جاء فحصا واسعا بين الإسكندرية ومصر وبات هنالك مع عسكرة فلما تنصف الليل خرج ألفا صالح جور وحده ليتنفل[1] بخلوه فإذا هو بأصوات مرتفعه فتوجه نحو الأصوات فلما قرب منها رآه مصابيح وحولها طلبة من الجن يقرءون الكتاب فطاف حولهم فإذا هم رهط من شمهروش من الجن معهم رجعوا من الحج وهو وسطهم وعليه تقرأ طلبه الجن فقصد ألفا صالح جور نحوه فأتاه وحياه بتحية الإسلام وصافحه فجعل الرهط يسلمون عليه ويصافحونه فإرتفق لذلك أصوات تسمعها ألفا محمد تل وهو خارج لتنفل وعرف صوت ألفا صالح جور بين الأصوات وخشى أن يكون ألفا صالح جور يخاصم أحدًا من رفقه اسكي محمد فتوجه نحوهم فلما جاءهم وجدهم رهط شمهروش الجني وألفا صالح جور قريبًا من شمهروش يسأله فأتى وسلم على شمهروش وعلى رهطه وجلس يتحدث معهم وبينما هم كذلك إذ خرج موسى بن ألفا صالح جور وهو غلام سداسي حينئذ فسمع صوت أبيه فتوجه نحو الصوت فأتاهم فوجد أباه وألفا محمد تل

(١) يتنفل: يصلي صلاة نوافل.

من بينهم أى الجن رهط شمهروش الجني وجلس قرب أبيه وقال شمهروش للفقهين فمن انتما فقالا من قوم أمير المؤمنين اسكي محمد خرج وخرجنا معه فكبر جور شمهورش وقال إن اسكي محمد رجل صالح سمعت النبي ﷺ يقول الخلفاء اثنى عشر خليفة كلهم من قريش واظن أنه منهم مضت عشرة منهم وبقى اثنان فلعله الحادي عشر وسيأتي آخرهم في القرن الثالث عشر وقد أخبر النبي ﷺ وسلم أني أعيش إلى تاسع القرون وأوافق الحادي عشر من الخلفاء ثم يحكم بين الجني والأسن وحينئذ اتوقع الموت فقالوا له هل راقب النبي ﷺ فقال نعم وقرأت عليه وتبشروا بذلك وبينما هم كذلك إذ وقف عليهم عبد جني وقال إني راعيكم ضرب غلامنا حتى أغمى عليه فأنا دعوتاكم إلى الشريفة وقال الفقيه ألفا صالح جور كيف ضرب غلامكم راعينا ونحن لا نراكم وقال العبد أن الغلام تبدل حية وقال شمهروش أميرهم من تبدل عن صورته فدمه هدر ثم قاموا يودعونهم وذهبوا فرجعوا إلى رفقهم وباتوا هنالك ليلتين فمات من الرفقه رجل اسمه محمد كى اج من سغى وكان من قوم شي وكثير الظلم فلما جعلوا الصف ليصلوا عليه وكان موسى بن ألفا صالح واقفا مع القوم وتبين لنا فضله وهو يقرب أبيه وقال لأبيه انظر يا أبي على الملائكة يخرجون الرجل من بين أيدينا ولم يبق بين أيدينا إلا النعش الخالي ولم ير ذلك أحد إلا هو فجعل أبوه يقول اسكت يا بني فظهر له أنه مكاشف منذ كان صبيًا وفي ذلك اليوم بين لنا فضل شيخنا وصحبنا رطب اللسان بالذكر الفاضل الصالح التقي الزاهد ولى الله تعالى الفقيه الأمين ألفا صالح جور وفضل الشريف الحسنى الفقيه اللغوي التصريفي النحوي له خط في معرفة الصحابة ولي الله تعالى محمد تل وفضل اسكيا محمد الإمام العادل أبي اليتامى والأرامل والمساكين والضعفاء وملجأ العلماء أما الذي بين لنا فضل ألفا صالح جور فلما إرتحلنا من هناك سرنا ثلاثة أيام مجدين فلما كان اليوم الثالث

هبت ريح شديدة حارة حتى يئس من في الرفقة من الحياة إلا قوي الإيمان ونشفت ما في القرب من الماء جميعًا حتى لم نترك فيها ولو قطرة وأشتد على القوم العطش حتى كان أشد عليهم من الريح ففتحوا القرب فلم يجدوا شيئًا فزاد خوفهم فأمر أمير المؤمنين اسكي محمد غلامًا له يقال له فرجل أن يذهب إلى هذا العالم ألفا صالح جو وهذا كله بعد نزول العسكر من شدة الريح الغلام فاشتد زجر وقال أن حرمه النبي ﷺ أعظم من أن تطلب بها الحوائج الدنيوية اطلب منا أن نطلب بحرمتنا المذنبين فقام ساعتئذ وتوجه إلى القبلة وقال اللهم أنا عطشنا وأنت أعلم بحالي منا وأنت عالم الظاهر والباطن فما ثم كلامه حتى سمعنا رعدًا فمطرنا مطرًا ساعتئذ فشربنا وسقينا دوابنا واغتسلنا وغسلنا ثيابنا وأقمنا هنا يومين فصار الماء نهرًا طوله مائة رمح فلما جعل الأمير اسكي محمد يقسم التمريين أهل الرفقة كعادته فأعطى جميع الناس ونسى ألفا محمد تل فحزن لذلك ألفا محمد تل في نفسه ولم يبين لأحد فجعل بعض أهل الرفقة منعه عمدًا والبعض يقول نسيانا وبكى أهل منزل ألفا محمد تل وبعض إغتاب اسكي محمد وبينما الرفقة كذلك إذا هم بجمل أبيض من المشرق عليه حمل من التمر يشق الرفقة إلى منزل ألفا محمد تل حتى اتاه فألقى حمل التمريين يديه فرجع إلى حيث أتى فقام ألفا محمد تل إلى الحمل فجعل يقسم التمريين أهل الرفقة كما جعل اسكي محمد فجعل للأمير اسكي قسمًا فإذا هو تمر لم يرله مثل فجعلنا على الجمل تنظر حتى غاب عنا فجاء الأمير اسكى محمد فاكب بين يديه يقبل يديه ورجليه ويتعذر إليه بالنسيان وتبين لهم فضل هذا العالم الولي ذلك اليوم وقال أن نسيتي فالعبد ينسى ولكن الرب لا ينسى أحد ورجع في آخر الثالثة وله خصائص ومناقب في حجه من ذلك أقبل عليه أهل الحرمين الشريفين واشترى في مكة الشريفة بقعة وبناها دارًا وحبس الدار على الكعبة الشريفة وتلقاه هنالك العلماء الإجلاء

والصالحين المرضيين وعمه شريف مكه وقدمه وولاه وألبسه العمامة الزرقاء وسماه الإمام وتلقى بمصر سيدي عبد الرحمن السيوطي وأخبره بما سيكون في بلاده قيل أنه سأل عن بلد كاغ وما يؤل إليه آخره قيل قال أخاف أن يكون سبب خرابه الفتن وعن بلد تنبكت قيل قال أن أخوف ما أخاف عليهم أن يكون خرابه واتلافه بالجوع وعن سجملد جن قال خرابه وهلاك أهله بالغرق بفجاهم الماء ويغرقهم أجمعين وله معه قصة عجيبة أيضًا وزاره سيدي العلامة محمد بن عبد الكريم وقيل أنه سمع رجلاً من أهل مكة كان عنده شيء من شغر رأس الرسول ﷺ يأتيه التجار بألوف من الذهب يطلبون منه أن يغمس تلك الشعر الشريفة المباركة في الماء ويشربون ذلك الماء ويغسلون به فلما أتى الرجل طلبه منه وأخرجه له وظفر بشعر منها والقاه في فمه وإلتقمه ياله من فوز ما أكرمه ونعمه ما أوفره وقيل لي دخل شبكة[1] رسول الله ﷺ دخل معه بركى مس كور وامسك بمفمدة من الشبكة الشريفة وقال يا أسكيا محمد هذا رسول الله ﷺ وهذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما دخلت في حرمتهم أطلب منك أشياء الأولي أن لا تجعل بناتي في الدار إلا بالنكاح فقال فعلت ثم قال وما الثانية قال أن تقف حيث وقفتك في الأمر والنهي فقال فعلت وما الثالثة قال فلا تقتل من دخل في داري ولا من وصلنى فقال فعلت فقال لا بد أن تعطيني العهد على ذلك في هذا المكان الشريف ويكون رسول الله ﷺ شاهدًا على ذلك فال فعلت وعند على ذلك وقيل أنه كان حين حصروه أهل برك وهزموا جيشه تبعه أولاده وهم مايه كاملة وحاط بهم جيش سلطان برك وحالوا بينه وبين قومه وليس إلا هو وأولاده نزل عن فرسه وصلى ركعتين ثم استقبل القبلة قال أسألك اللهم بحرمة ذلك اليوم الذي وقفت عند رأس رسولك في شبكته وسألتك أن تجيبني عند كل شدة أسألك اللهم أن تفرج عنى وعن

(١) شبكة: ضريح الرسول ﷺ.

أولادي وأخرجنا من هؤلاء سالمين ثم ركب وقال لأولاده ادخلوا أمامي حتى أخرجكم فقالوا له لا تفعل ذلك أبدا لأنا جمع إن مات فينا طائفة تبقى طائفة أخرى وأنت فينا واحد فإن مت فلا أب يخلفك لنا ثم جعلوه في وسطهم واقتحموا عليهم وهزموهم وخرجوا سالمين ولم يجرح منهم أحد فلما خرج ولحق بجيشه قال لهم اسمعوا ولا تعجبوا مع ما فيه العجب الذي لم يتفق لبشر قبلي وذلك أن الله أعطاني ماية من الأولاد ما فيهم ولد خاسر ولا جبان وكلهم فرسان شجعان وقد يخلف الله رجلاً ويعيش ولا يصيب أبنا واحدًا وقد يصيب واحدًا فيكون ولدًا فاسدًا وقد أعطانا الله مايه صالحين فإني أشكر الله على ذلك.

ومن كرامات اسكي محمد أنه لما أتى بلد موشكي بعد قتلهم وانهزام جيش موشكى وقف على شجرة هنا لك التى ضمهم تحتها وأشار إلى الضم فإذا الشجرة انقلعت من أسفلها وسقطت بإذن الله وسئل عما قال عند الشجرة وما فعل بها وتسبب لسقوطها فقال والله ما قلت إلا لا إله إلا الله محمد رسول الله يتحدث بها وغزى في السنة الرابعة في تلك السنة تومي شيخنا الفقيه محمود بن عمر القضاء وفي العام الخامسة غزى باغي قار وفي السادسة غزى تلظ في اير وهنا لك أصاب كنك ولم يكن لهم قبل ذلك وفي السنة السابعة مشى إلى زلن ورجع إلى كاع وأمر سبعة رجال من أبنائه وهم كرمن فار عثمان ومور عثمان ساكد وعثمان كره وسليمان كنتك وبنكعزم سليمان وكلسفرم سليمان وعمر توت وفقهائهم الذي حج معهم لاستتابه صالح جور ومحمد تل وقال لهم فإذا جاءوا موضع الذي عرف باسكين إلى موضع عرف بقا حوز لك يا ماع جور وإنتم الشهداء وفيه ثلاثة قبيلة ملكا له حدادنك بفما وقبيلة فالن وأهل بل كك وكركع وسرى داني.

[عطايا الأسكيا محمد لمحمد تل]

ثم قال يا محمد تل إذا وصلوا جركنس كيفر وركب في مقابلة من طلوع الشمس إلى حين غربت عليك حوزلك وفيه ثلاثة قبيلة ملكًا لك قبيلة زنجية وقبيلة سريني وقبيلة جم ول لان جم ولي وسريني أمهم عربي وأبوهم حداد ماسني وكان الأمر كذلك وغربت عليه الشمس بحذاء أشجار دوركش ثم رجع إليه وقصها عليه ودعالهم وما غزى في السنة الثامنة والتاسعة والعاشرة وفي الحادية عشر مشى إلى برك ولم يغز في الثانية عشر وفي الثالثة عشر نزل في كير وتلقاه هنالك ثلاثة رجال من حفدة الشيخ مور هوكار وهم مور الصادق ومور حبيب ومور محمد الذين أخذهم شي على في زمنه كما تقدم واشتكوا إلى اسكي محمد البؤس والشدة التي تلقاهم في زمن شي عال وأمر لهم بعشرة خدام ومايه بقرة فرجعوا فلما كانو راجعين تلقوا بإخوانهم بنى أبيهم حفدة مور هو كار في الطريق قادمين إلى إسكي محمد وسألوهم عن حاله وأخبروهم بحسن سيرته سياسته وكرمه وذكروا لهم ما وهبه لهم من العبيد والبقرات فقالوا نحن شركاؤكم في هذه العملية نقسمها على رؤسنا وأبوا تخاصموا وبلغوا في ذلك نهاية حتى رجعوا معهم إلى اسكي محمد وأخبروه بما جرى بينهم وبين إخوانهم فضحك فرحًا مسرورًا ثم قال للأخوة إنما هذه العطية ما نويت بها ذرية مور هو كار وإنما قصدوني أخوتكم هؤلاء الثلاثة فأعطيتهم ما قسم الله لهم وذلك رزقهم ساقها الله لهم ثم أمر للأخوة الآخرين أيضًا بعشرة عبيد ومايه بقرة وقال هذا رزقكم أنتم ولكم عندى ذلك غرامه فى كل عام ما بقيت فأخذوها وشكروا فعله ودعواله بطول البقاء والتمتع بملكه ثم قالوا له نريد منك أن تكتب لنا كتاب الحرمه تسير بها في البلدان نحمى به أعراضنا حتى لا يتعرض لنا أحد من ظلمة جندك يظلم ولا تعديه عتقك الله من النار.

[كتاب الأسكي محمد لحفيدة الشيخ مور هو كار]

فرض وأجاب وأمر الكاتب أن يكتب وهو يملى له ويكتب ووقعت أنا على ذلك الكتاب أوقفني عليه خالي القاضي إسماعيل بن القاضي الفاضل محمود كعت وقد لحس الأرضه[1] بعض أسطار اسفل رسمه وثقب منه أشياء ونصه هذا كتاب أمير المؤمنين وخليفة المسلمين السلطان العادل القائم بأمر الله اسكي الحاج محمد بن أبي بكر أدام الله عزه ونصره وخلد البركة في عقبه ومن وقف عليه بإيدى جملة حفدة الفقيه الزاهد الصالح مور محمد هوكار وهم مور الصادق ومور حبيب وإسحق وانياذك ومحمد ورسماك وعلى وبلقاسم بني الفقية مور معمع بن مور معمك بن الفقيه مور هو كار رحمه الله ونفعنا بعلمه ودينه آمين ومن وقف عليه فمن يؤمن بالله واليوم الآخر وبرسالته ورسوله الصادق ﷺ فليحترمهم ويوقرهم ويعرف مناقبهم وفضلهم وحرمة جدهم ويمسك كل جائر وفاجر جوره وفجوره من جندنا وأهل جيشنا وخدمنا الجائرين وعبيدنا ورسلنا فلا يقربهم بضيم ولا تحقير وتصغير ومن تعرض لهم بسوء وظلم فينتقم الله منه على كذا ونوصى كل من تنسل منا من أولادنا وأحفادنا أن يبروا بهم ويحترموهم ويحسنوا إليهم وقد أسقطنا جميع وظائف السلطنة وغرامته بحيث لا يطالبهم أحد بشيء حتى الضيافة وأن تعرض بينهم ظنه أو أدعى عليهم حقًا فلايحكم عليهم إلا أنا وحدى أو من سيخلفني في هذا المقام مهن أولادي ومن ظلمهم أو أخذ منهم أدنى شيء ظلمًا باطلا من ذريتي لايبارك الله له في ملكه وفسد عليه ملكه وختم له بخاتمه السوء بحرمة الذي وقفت على رسول الله ﷺ وتمت في داخل شبكة روضته ﷺ وكذلك ابحث لهم ولذرياتهم أن يزوجوا في مملكتي كلها من كنت إلى

(١) الأرضة: نوع من الحشرات يتغذى على الأوراق.

شبردك الذي هو الحد الحاجز بيننا وبين سلطان مل من كل نساء أحبوها ويكون ولدهم منها أحرارًا وأمهم تابعات لهم في الحرية إلا سرك وأربى وأنى أنها هم وأحذرهم عن نكاحهم لانهما مملوكان لنا ثم من تورى منهم فولد منها بحرمة جدهم معتوق دون أمه فأمه لا يطالبها أحد بالرق مادامت في عصمته فترجع إلى ملكي بعد طلاق أوفاه الزوج ويتلو هذا السطر أربعة أسطار لحست دابة الأرض كلها وما بقيت منها إلا ما لا تأتي كتبها ولا يمكن تلفيق بعض ذلك إلى بعضه ويتلوه وقد حضر عند هذه الوثيقة الفقيه أبو بكر بن الفع على كار بن الخطيب عمرو الفك عبد الله بن محمد الاغلالي والعاقب بن محمد الشريف وشهد به كاتبه على بن عبد الله بن عبد الجبار اليمني ختم الله له بخاتمة الحسنى ثم أمر أن ينادى كل من حضر هنالك من أولاده كلس فرم سليمان كند نكرى وونيفرم موسى ينبل ونساع فرم عادا وخارفرم عبد الله وكنفار على كسل وأحضروهم وأمر بقراءة الكتاب عليهم فقرء عليهم وقالوا كلهم سمعنا وأطعنا ثم قال من سمع باسم هذا الكتاب أو رآه فلم يتمثل فلا يبارك له في نفسه وفي كل ما رزقه الله من ذرياته ثم أخذ الكتاب بيده وطواه وجعله في يد كبيرهم وهو مور الصادق أنتهى.

[الكتاب في عهد خلفاء اسكيا محمد]

وقال القاضي إسماعيل كعت كل حكم حكم به اسكى محمد ما عرفنا ما بقى منها بعد نزول محله جؤذر[1] إلا هذا الحكم وحده وقد أبطل الكل ذريات اسكي محمد وحفائده فإنا لله وأنا إليه راجعون قلت وهذا الواحد الذى قال القاضي إسماعيل أنه بقى فقد أبطلوه بعد موت اسكي محمد منكن بن بلمع صادق وما

(١) جؤذر: القائد المراكشي الذى قام بحملة على بلاد السودان.

ابقوا لـه أثـرًا وقـد رأيـت بعـيني كـثيرًا من حفائد مور هو كار وأسباطه في سوق تنـبكت يـبايعونهم وهم يصارحون بأنهم حفائد مور هو كار وباعوهم وممن تسبب بـأتلافهم أهل سنفي وذلك في أول العام الخامس والسبعين وألف وقد أظهروا لهم العـداوة والبغضـاء واظـن أن دعـوة اسـكي محمـد كـادت أن تنـزل بهـم أو نزلت وحاقت بهم كل ذلة وتغصير وحسبنا الله ونعم الوكيل.

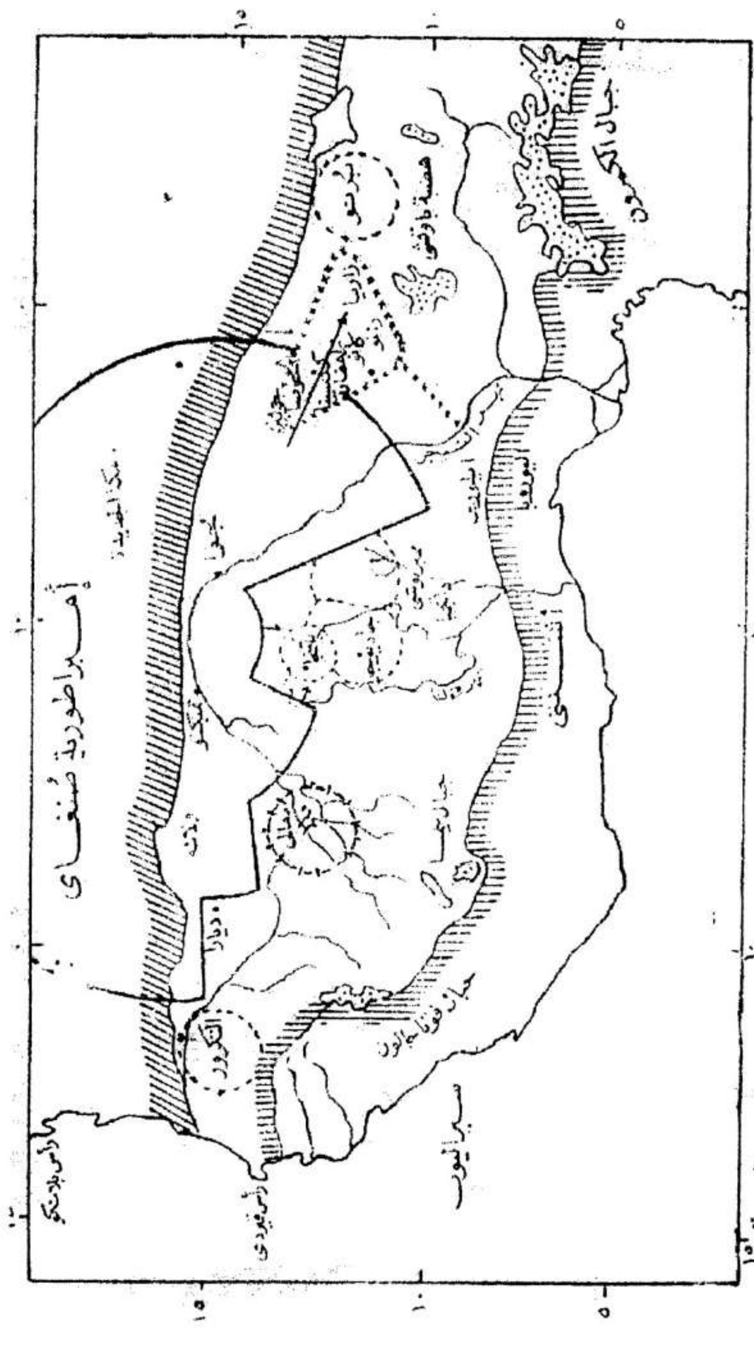
وفي الرابعة عشر مشى إلى كلنبون ورجع في أول الخامس عشر وفى تلك السنة حـج سيدنا محمود بن عمر وولى القضاء بعده القاضي عبد الرحمن ثم رجع ومكث في تنـبكت سـنتين والقاضـي عـبد الـرحمن يقضـي وما رد القضاء للقاضي محمود الـذي اسـتنابه والقاضـي محمـود ساكت ولم يتعرض له وما استرده إلى أن وقعت نازلـه في مجلـس القاضي عبد الرحمن وحكم فيها بما حكم به وسمع بذلك الفقيه القاضـي محمـود وأرسـل إلـيه يـنقض ذلـك الحكم لمخالفته بنص الكتاب والسنه والإجمـاع فأبـى إلا اتخـاذه وسـكت الشـيخ فابلـغ الخبر بذلك إلى اسكي محمد فارسـل رسـله لـيردوا الحكـم للقاضـي محمـود ويعزلوا عبد الرحمن وجاء الرسول واجمعوا علماء تنبكت وفقهاءها في جامع سيدي يحيى ونادوا القاضي بأمر اسكي وحضر وقال له الرسل أن اسكي يأمرك بأن تسلم الأمر للقاضي محمود لانك نائبه وإذا حضـر المنيب فالنائب معزول مبطول مع أنك لا تستحق القضاء مادام محمود بـين أظهـركم حـيًا ولامـوه أدبه لعدم تسليم القضاء إليه حين أتى وعزلوه ثم أتوا القاضـي محمـود يامـرون بامـر اسـكي بـأن يرجع على مكانه ويتولى وأبى واقتنع ولحـوا عليه فلما سمع اسكي باپابته وامتناعه ارسل إليه كبراء قومه وألزموه ذلك ثـم لم يرضـى إلا بعـد مـا غلبوه بالحجج أقاموه عليه فتولى رحمة الله وفي السابع عشر أرسل عليا المسمى على فلن ويلمع محمد كرى إلى باغن فار بمع قت.

[ادعاء تبني النبوة]

وفي الثامنة عشر قتل أي تنيض الكذاب الذي أدعى النبوة والرسالة لعنه الله عليه فقتله كنفار عمر كمزاغ بغير علم اسكي وأمره خرج من تندرم إليه ونصره الله عليه ومع ذلك كان في كثرة ومنعه وقوة أكثر من جيش كنفار عمر ولم يغلبه إلا بنصر الله وهو سلطان فوت ويقال قوط كنك وكان قويًا منصورًا شجاعًا ذا باس خارجا خرج عن ملك قوط وجاء إلى كنك وأقام بها وتسلطن هناك وبسبب خروجه ايى كنفار عمر وذلك أن كياك فرن وقع بينه وبين تنيض ملك فوت امور وخصومة وتشاجر وحلف بأن يكسر بلده ويصيره صحراء وكان أقوى منه قوة وخيلاً ورجالاً فاستغاث لذلك بكنفان عمر ولذلك خرج إليه وهذا أول ما سمعنا من القصة ثم أخبرني بعض العارفين بسيرهم أن سبب خروج كنفار عمر إليه أن أحد الزغرانيين من أهل سنفي كان يخرج كل سنة إلى فوت ويتجر فيها وسمع به تنيض وأخذه وأكل ماله جورًا وظلمًا وأراد قتله وهرب إلى كرمن فار وسعى به إليه ونم عليه عنده وقال أنه شتمه ووقع عليه وأغضبه ولذلك خرج إليه وقد بلغ أهل سنفي من الحرب وعلم القتال والشجاعة والنجدة ومعرفة المكيدة غاية ونهاية انظر كيف خرج كرمن فار بهذا الجم العرمرم الكثيف وقطع بها هذه المغازة البعيدة القفر في مسافة نيف وشهرين في البعد من تندرم إلى فوت وكيف ظفر بهم وتمكن من ملكهم وقتله وغنم فيهم الأموال الجسيمة وكل ذلك في العام الثامن عشر بعد تسعمائة وقطع رأسه وجاء به إلى تندم ودفنه هنالك وفي التاسعة عشر غزكى كشن وفي الخامسة نزل كير في شهر رمضان ثم رجع إلى كاع في تلك الرمضان ولحق الخبر يوم نزل كاع بمرض أخيه كرمن.

[عزل الاسكيا محمد]

وفي آخر هذا أعني العام الخامس والثلاثين عزل اسكي موسى أباه اسكي محمد وتسلطن ولم يبارك الله له في سلطنته وذلك يوم عيد الأضحى من العام الخامس والثلاثين ومكث اسكي محمد في السلطنة أربعين سنة غير واحد وقيل ثلاثة وأربعين سنة على الصحيح وعاش سبعًا وتسعين سنة ومات في أيام اسكى إسماعيل وترك أولادًا كثيرًا.



خريطة رقم ٥ . ولايات السودان الغربي في مستهل القرن السادس عشر الميلادي

الآراء التي ذكرت في أهمية كتاب محمود كعت

أولاً: رأي الأستاذ/ أحمد فؤاد بلبع مترجم كتاب الإسلام والوثنية. وأود أن أشير أيضًا إلى أن بانيكار قد قفل في توسع واسفاضه عن كتابين غاية في الأهمية هى: تاريخ الفتاش لمحمود كعت وتاريخ السودان لعبد الرحمن السعدي. وكان هذان الكتابان من أهم المصادر في دراسته، وبخاصة في تناوله لتاريخ الدول الإسلامية في غرب إفريقيا.

ثانيًا: رأى الدكتور محمد الغربي مؤلف كتاب بداية الحكم المغربي في السودان الغربي.

ولا يحتوي الكتاب على أية أبواب أو فصول بل هو مكتوب دفعة واحدة، ولا توجد به فقرات أو مواقف مع ما حفل به من الاستطرادات وتداخل الأحداث والحشو، غير أنه يعتبر ذخيرة هامة في تتبع التطور الحضاري والثقافي والاقتصادي. ص٥٣٢، ٥٣٣.

أهم المصادر والمراجع

أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة

أولاً: المصادر الأصلية:

١ـ رسالة السيوطي لملك التكرور، ملحق برسالة ماجستير، علاقة مصر بالدول الإسلامية في حوض نهر النيجر، الباحثة زينب أحمد على، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، سنة ١٩٨٢.

ثانيًا: المصادر المطبوعة:

١ـ البكري (أبو عبد الله بن عبد العزين) : ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م. المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة بدون.

٢ـ الحسن بن الوزان (ابن محمد الوزان الزياني): ت ٩٦٠هـ/١٥٥٢م. اسم الكتاب أسفل اسم المؤلف وصف أفريقيا، مطبوعات جامعة محمد بن سعود، الرياض، السعودية، ١٩٧٩م.

٣ـ السعدي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران) عاش في القرن ١٧م. تاريخ السودان، باريس، ١٨٩٨م.

٤ـ القلقشندي (شهاب الدين أحمد بن على): ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م. صبح الأعشي في صناعة الانشا، وزارة الثقافة، مصر، بدون.

٥ـ ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله): ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م. الرحلة، دار التحرير، القاهرة، سنة ١٩٦٦م.

ثالثًا: المراجع الحديثة:

١ـ السيد عبد العزيز سالم (دكتور): المغرب الإسلامي، دار الشعب، القاهرة، بدون.

٢ـ حسن أحمد محمود (دكتور): الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.

٣ـ حسن إبراهيم حسن (دكتور): انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٥٧م.

٤ـ رجب محمد عبد الحليم (دكتور): الموسوعة الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، جـ٢، سنة ١٩٩٧م.

٥ـ عبد الله عبد الرازق إبراهيم (دكتور): أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية. مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩م.

٦ـ مادهو بانيكار: الإسلام والوثنية، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٨م.

فهرس

فهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣
دراسة لأهم المصادر والمراجع	٧
بلاد السودان الغربي	٩
وسائل انتشار الإسلام في السودان الغربي	١١
الدول الإسلامية في غرب أفريقيا	١٥
محمود كعت وكتابه الفتاش	١٩
خطبت الكتاب	٢١
الغرض من الكتاب	٢٢
نظم الاسكيا محمد	٢٣
إصلاح الاسكيا محمد وبداية توليه الخلافة	٢٤
مباركة السيوطي للاسكيا	٢٥
أحكام التعامل مع القبائل الإفريقية وبراءة الاسكيا لخلفاته	٢٨
رحلة حج اسكيا محمد	٣٠
قدوم الشريف الصقلي لضفي	٣١
براءة الاسكيا محمد وذكر نسب الشريف الصقلي	٣٢
رحلة الشريف الصقلي لتبنكت وعطايا الاسكيا ومجالسه	٣٦
أصول ملوك صنفي	٤٣
علاقة محمد تل بالاسكيا	٤٤
أخبار منسى موسى ورحلة حجه	٤٥
إقليم مالي	٥١
ذكر الاساكي	٥٥
حروب اسكيا محمد وترجمته	٦٣
عطايا الاسكيا لمحمد تل واحفاده	٧٩
ادعاء تبني النبوه	٨٣
عزل الاسكيا محمد	٨٤
الملاحق	٨٧
المصادر والمراجع	٨٩
الفهرس	٩٣